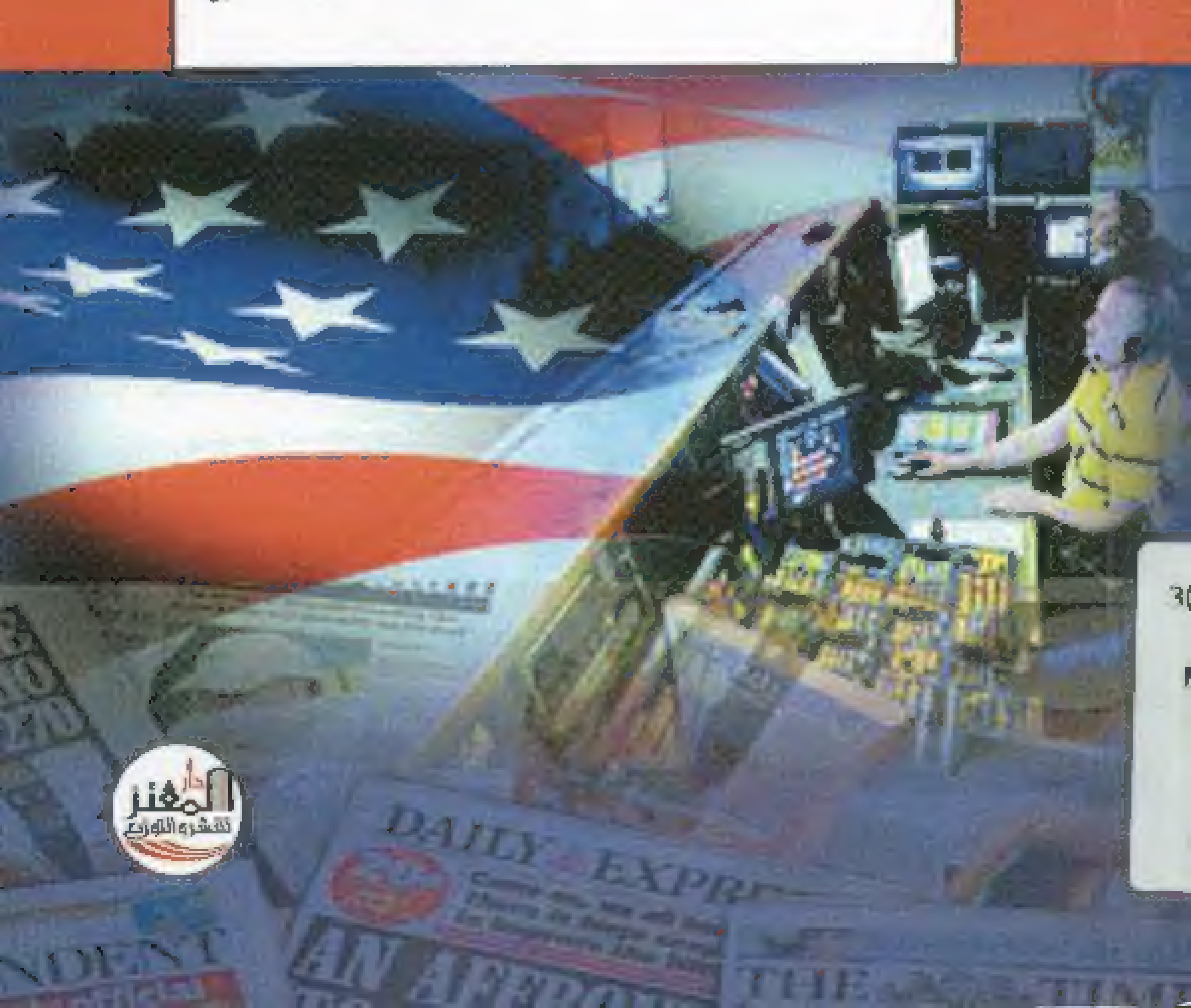
سامي أحمد الموصلي

الإعلام الإرهابي الأمريكي



بسم الله الرحمن الرحيم

الإعلام الإرهابي الأمريكي

الإعلام الإرهابي الأمريكي

سامي احمد الموصلي

الطبعة الأولى

2014 م – 1435هـ

الفهرس

مقدمة

حينما تقوم الآلـة العـسكرية الأمريكيـة بطائراتهـا ودباباتهـا وصـواريخها بقصف المراكز الإعلامية في بدء الحرب على العراق.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف التلفزيون الصربي.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف إذاعة طالبان في أفغانستان.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف مقر قناة الجزيرة في كابول.

وحينما تقوم هذه الآلة بقصف فندق فلسطين مقر المراسـلين الـصحفيين في وسط بغداد.

وحينما تفضح صحيفة ديلي ميرور البريطانية نية بوش بإصدار أمر بـشن غارة عسكرية على مكاتب واستديوهات قناة الجزيرة في قطر.

وحينما.. وحينما يقتل اكبر عدد من الصحفيين في العراق بـشكل لم يسبق له مثيل في أي حرب سابقة.

حينما يحدث كل هذا وغيره مما هو في سياقه فلابد أن تثار مسألة العلاقـة بين الإعلام والإرهـاب في دولـة كـل نـشاطاتها تـصب في مـسألة مركزيـة هـي أجتثاث جـذور الإرهـاب، فهـل الإرهـاب يكمـن في نـشرة أخبـار أو صـورة

تلفزيون أو كلمة صحيفة أو قتل مراسل أو تشويه حقائق على الرأي العام في الداخل والخارج؟

إن الإعلام تمظهر من تمظهرات الديمقراطية التي طالما يرفع شعاراتها قادة أمريكا في كل ناد وحوار، فلماذا تقصد الآلة العسكرية الأمريكية مراكز وصحف إعلامية في غزواتها قبل أن تقصد أسلحة ودفاعات البلد المغزو عسكريا؟.

إن دور الإعلام في الحرب هو كشف الحقيقة،لأن الحقيقة هي أول ضحايا الحروب، وبالتالي تكون مهمة الإعلام باعتباره سلطة رابعة حيادية وموضوعية وصادقة وهي البحث بالكلمة والصورة والتحقيق عن هذه الحقيقة التي تتلبد أمامها غيوم المعارك وضباب التصريحات وأكاذيب الحرب النفسية بين الطرفين المتحاربين.

ولكن الإعلام الذي تقوم به أجهزة الدولة الغازية والمعتدية يجابهه إعلام الدولة المغزوة والمعتدى عليها، وهذه مسألة تتقاطع حواراتها الجدلية على مستوى الكلمة والصورة،والصحيفة والتلفزيون والستالايت والانترنت كل بإمكانياته الإعلامية وأدوات هذا الإعلام،

اما أن تقوم أجهزة عسكرية وصواريخ وطائرات ودبابات بقصف وتدمير مراكز الإعلام،فهذا يعني أن المعركة تحولت من البحث او إثبات حقيقة معينة يجب أن تقاد إلى تعتيم مقصود وتعمية على الحقيقة، فالكلمة تحاربهـ لكلمة وليس القذيفة، بل إن القذيفة التي تقصد مركز إصدار الكلمة إنما تريد أن تقول أن الحقيقة هي القوة وليس الحقيقة هي الصدق والمصداقية والموضوعية، وإذا كان الإعلام سلطة وقوة وسياسة فله أن يستعمل سلطته وقوته وسياسته في قول الحقيقة للرأي العام، لان أساس ممارسته الديمقراطية هنا تقوم على مسألة التشكيك والمساءلة والوقوف مع المهنية والموضوعية لكسب ثقة الرأي العام إلى جانب الحقيقة ومن ثم ممارسة حرية التعبير في إطار حقوق الإنسان المقرة في كل قوانين الأمم المتحدة ومواثيقها.

أما أن يتحول الإعلام إلى تابع لتعليمات وتوجيهات القيادات العسكرية بادعاء الوقوف في صالح الوطن المزعوم والوطنية المزعومة فهذا خروج عن المصداقية والموضوعية والمهنية بل وكل مفردات الإعلام الحق.

لقد تحول الإعلام من هوية الحيادية في كشف الحقائق إلى هوية المدافع حتى بالكذب عن مواقف القوة العسكرية المحاربة،وبدلا من أن يكون رديفا للجهد العسكري في أحسن مواقفه أصبح جزءا لا يتجزأ منه وبذلك سقطت

موضوعيته وفقد هويته كإعلام مهما حاول أن يقدم من تبريرات كالضغوط التي تمارس عليه.

إن اكبر فضيحة للإعلام الأمريكي البريطاني كانت في حرب العراق حتى صدر كتاب كامل بعنوان اكذب علي من تحرير ديفيد ميلر عام 2004 في لندن ليكشف ويفضح هذه الممارسات التي أصبحت اليوم وبعد اكتشافها تماما دليلا على فقدان هذا الإعلام مصداقيته وهويته وحياديته وبالتالي دعاواه الديمقراطية والأمثلة كثيرة على ذلك.

لقد كانت الكذبة الأولى التي ادعاها بوش وقادته العسكريون وإعلاميوه البيناويون أن الحرب على العراق كانت لامتلاكه أسلحة دمار شامل، بل إن بلير كذب كذبة تاريخية لم نعرف كيف صبر عليه بعد افتضاحها نظامه الديمقراطي، هذه الكذبة في قوله أن العراق يستطيع خلال خمس وأربعين دقيقة أن يقصف بأسلحة الدمار الشامل ما يشاء من أهداف، واخذ الإعلام الأمريكي الإنكليزي بأبواقه المختلفة والنشاز يردد هذه الأكذوبة بدون البحث عن أي مصداقية حتى ولو كانت واهية لدعمها أو التشكيك فيها حتى تصدق على الأقل، وقد كانت هذه الكذبة أهم عنصر من عناصر الدعاية للحرب التي أثرت في الرأي العام البريطاني والأمريكي.

هكذا مارس الإعلام الأمريكي البريطاني سلطته فوضعها في خدمة لعسكرتاريا، وبالتالي أصبح إعلاما تابعا ومنفذا لقرارات القيادات العسكرية يردد تصريحات قادتها حتى ولو كانت زورا وبهتانا، كل ذلك باسم الاصطفاف الوطني مع البلد على حساب الحقيقة التي غابت وغيبت عن الرأي العام فلم يكتشفها إلا بعد أن أنجز العسكري مهمته القتالية بدعم معنوي مزيف.

إن الاعلام الأمريكي الذي كان مضرب المثل في موقفه من حرب فيتنام حتى انه اجبر الرؤساء الأمريكيين على الانسحاب بعد فضح واقع الحرب وفشلهم في تحقيق أي نصر عسكري حقيقي على الفيتناميين وبالتالي كشف حقيقة استهانتهم بحقوق الإنسان واستخدامهم الأسلحة المحرمة دوليا...الخ هذا الإعلام الذي اخذ شهادة حسن سلوك عالميا عاد لينتحر في العراق أمام القادة العسكريين باصطناعه الأكاذيب لإيهام الرأي العام بانتصارات وشعارات مزعومة.

حينما كان القائد الياباني الساموراي يفشل في معركة لم يكن أمامه إلا الانتحار بسيفه معترفا بفشله ومحافظا على كبريائه وقد تكررت هذه الممارسات في حروب اليابان الأخيرة حينما انتحرت مجاميع من الجنود بعد فشلهم في مهمات أوكلت إليهم أما القائد الأمريكي والبريطاني فإنه اليوم

باسم الديمقراطية يبقى في حكمه مهما كانت درجة فشله العسكري ممتطيا جواد الكذب الإعلامي الذي يوصله إلى نهاية فترته الانتخابية، ولولا لم يكن أولى وأجدر ببلير وبوش الانتحار بعد كشف أكاذيب ادعاءاتهم في حربهم على العراق التي بدأت بفشل مبني على الكذب الإعلامي وانتهت ولازالت بفشل ادعاءات تيقظ الإعلام متأخرا ليفضحها؟

بل إن كشف الوثيقة السرية المتضمنة ما ذكره بوش من انه قد يصدر امرا بشن غارة جوية على مبنى ومكاتب واستوديوهات الجزيرة في قطر،ألا يحمل هذا إعلاميو أمريكا الأحرار يطالبوه بالالتزام بشيء من الأخلاقية الأمريكية ولقيم التي بنت أمريكا في محافظتها على حرية التعبير والديمقراطية؟

إن قتل الصحفيين باسم خطأ القصف، وكسر أجهزة التصوير الصحفي أمام لكاميرات، وغلق المناطق ومنع التصوير فيها عندما تتم عملية عسكرية إلا من قبل من اختارتهم القيادة العسكرية لذلك من الذين يعبرون عن وجهة نظرهم فقط؟ أليس يعني هذا أن حرية التعبير في دولة ديمقراطية مثل أمريكا قد أصبحت هذه الحرية مقيدة مثل أي دكتاتورية في العالم الثالث؟ أين هي القيم الأمريكية الديمقراطية والأخلاقية التي أرساها قادة أمريكا الأوائل ودعو إليها في كل خطبهم وشعاراتهم؟.

لماذ هذا التصاعد الكبير في عداء أمريكا للإعلام وأجهزته في كل أنحاء العالم؟ هل من الغريب القول في ضوء هذا أن كراهية أمريكا من قبل العلم ،جمع أصبحت أكثر فأكثر لكل هذا؟

ألا يصدق الوصف الذي جاء في كتاب -اكذب علي- كشهادة على هذا الوضع المأساوي للإعلام الأمريكي والبريطاني في الحرب على العراق والذي يقول بان الانطباعات العامة التي ترددت في معظم بقاع العالم كانت تحوم حول اتهام مركزي موجه إلى الإعلام الغربي أو بدقة أكثر الإعلام الأمريكي-البريطاني المتلفز منه على وجه التحديد، مفاده أن هذا الإعلام انحاز بتياراته لرئيسية إلى منطق الحرب، ولم يسأل القائمين عليها كما هي أصل مهنته المساءلة والتشكيك- بل عوض ذلك ضحى بالمهنية والموضوعية وداس على كل المدارس الإعلامية التي كان رياديا في تكريسها في حقل الإعلام وتمترس في خندق الحكومات -.

هل من حق القيادة الأمريكية في واشنطن أن تصدر للإعلاميين قرارا والى محطات التلفزة الأمريكية خاصة تطالبها بان يكون موقفها وبثها الإعلامي خلال الحرب وطنيا ومنسجما مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية؟

فأين هي السلطة الرابعة والديمقراطية والرأي العام وحرية التعبير ومن ثم الموضوعية والحيادية والمصداقية والمهنية ومن ثم شهود العيان الذين لا يكذبون؟

إن الذي حدث في حرب العراق إعلاميا وصفه احد الكتاب بقوله- لم تعد المؤسسة الإعلامية الغربية الأمريكية كما البريطانية كما العديد غيرها مطالبة في ظل حالة الحرب -بنقل مجريات الأحداث كما تتراءى لها بأرض المعركة، ولا وفق ما تقدمه الجيوش بل غدت تحت هذا المسوغ أو ذاك تعمل على تطويعها وإعادة إخراجها بما يتساوق والخطة العسكرية أو نزولا عند رغبات الرأي العام او جبرا لنفسية العائلات المكلومة التي تم الزج بأبنائها في جهة من العالم لربما لن يستطيع المواطن الأمريكي أو البريطاني تبين موضعها على الخريطة -

انه إذن خديعة كبرى لكل من يتعامل كقاري أو مشاهد مع معطيات هذا الإعلام من خلال هذا التزييف والتزوير والموقف المسبق وإصدار الأحكام على الحيثيات من موقف سابق على الحدث لا منطلقا منه ولا اتخاذه كشاهد إثبات بنفسه إنما شاهد زور على هدف وراءه جاء من تعليمات عسكرية باسم الوطنية لا من وثائق أو صور حقيقية واقعية.

هنا نرى أن الإعلام قد ألغى نفسه وصادر مسؤوليته ومهنيته ونزع سلطته لحساب أمر يتجاوزه، حتى ولو كان هذا الأمر مخالفا لقيم أخلاقية العمل والمهنة الإعلامية، وهذا قد يفسر لنا لماذا حشدت أمريكا أكثر من ثلاثة آلاف صحفي يرافقون عملياتها العسكرية مع خمسمائة صحفي في بعض قواعدها في الخليج،، أليس الغرض هو جرهم جرا إلى نزع مهنتهم الإعلامية الحقيقية الحرة وتوظيفها لخدمة العسكرتاريا وأوامرها وتعليماتها؟.

على أن الأمر لم يقف عند حدود تزوير الإعلام لهويته لحساب وطنية مفترضة عسكريا وتعليمات قيادة عليا في واشنطن، بل تجاوز الأمر إلى معنى أكثر تدميرية لعمل الإعلام هو حرب الإعلام على نفسه، فإذا كانت القيادة الأمريكية في سلوكها مع الإعلام كما ذكرنا-قد عسكرة الإعلام بطريقة لم يشهدها التاريخ من قبل سواء بعدد الصحفيين الكبير الذي يشكل جيشا يمشي الكلمة غرضه التزوير والكذب والنطق بما يخالف الواقع المشاهد وتطويع المعلومات والأحداث لسياقات خدمة غير موضوعية بل وغير شريفة، إلا أن الأمر تجاوز ذلك إلى أن يصبح الإعلام ضحية وأول الشهداء في هذه المعركة الغبية

فإذا كان الإعلام شاهد صادق على أي شيء، فإنه في هذه الحرب لم يكن شاهد زور فحسب، بل كان مساهما مساهمة حقيقية في خلق الكذب، لان هذه الحرب حقيقة كانت حربا إعلامية بمقدار إن لم يكن أكثر من أن تكون حربا عسكرية، والحرب الإعلامية ضد الإعلام نفسه فكلا القتيلين فيها ضحية اختراقات عسكرية للإعلام أولا وضحية لفقدان الحرية كشاهد صدق على الأحداث ثانيا.

ويظهر ذلك بدءا من محاصرة قوات التحالف الأمريكي-البريطاني لمحطة ابو ظبي الفضائية بغرض الحيلولة دون انتقال صحفييها لتغطية ما جرى من مجازر بضواحي بغداد وأحيائها، ثم قصف مقصود- وليس خطأ كما يبررون- لمركز الصحفيين بفندق فلسطين بقلب بغداد ذهب ضحيته صحفيون من الجزيرة ومن التلفزيون الأسباني ومن وكالة رويتر.

كما يظهر أيضا من جعل الإعلامي رهينة لا يبث إلا ما سلمته الآلة العسكرية السياسية تحت تهديد فوهة مدفع أو تحت ضغط قائده بعين المكان.

وهكذا وصل الإعلام والإعلامي في حرب الإعلام هذه إلى أن يقف ضد نفسه وضد مهنته فهي حرب إعلامية تم فيها قيام الإعلام بجرائم حرب إعلامية مما قد يستدعي محكمة جرائم إعلامية كما هي جرائم الحرب العسكرية.

وهكذا أيضا لم تعد المؤسسة الإعلامية مصدر سلطة من شأنها العمل على لجم سلطة السلاح والحرب أيا ما تكون المسوغات تلك، بل اصبحت كما يقول احد الكتاب- مكونا من مكوناتها وعنصرا من عناصرها وأداة القرار التي على خلفيتها يتم كل هذا أو ذاك –.

على أننا يجب أن لا نغفل– ونحن نحلل طبيعة الإعلام الأمريكي وانسياقه بل و ندغامه وذوبانه في قرارات المؤسسة العسكرية من خلال الحرب على العراق – الإشارة إلى أن اكبر محرك مفتعل للسياسة الأمريكية ومن ثم المؤسسة العسكرية كان شعار الحرب على الإرهاب الذي طرح قبل أحداث 11 سبتمبر حينما وضعت دول على أساس أنها محور الشر منها العراق وإيران وكوريا الشمالية، وبالتالي كانت السياسة تبرمج تحت هذا الشعار، ثم حدثت الانتقالة الكبيرة بعد أحداث 11سبتمبر حيث غلب المنطق العسكري المنطق السياسي والإعلامي على السواء.

وكانت حاجة قادة أمريكا إلى حرب للتنفيس عن الاحتقان لدى الشعب الأمريكي، مما جعل قادة البيت الأبيض يرفعون شعارا ضد كل مفاهيم الديمقراطية هو شعار من –ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا وطالبوا باصطفاف العالم وراءهم للحرب على الإرهاب ولابد أن يكون الإعلام بجانب القيادة

العسكرية التي تغلت حرب أفغانستان ثم احتلال العراق، وإذا كانت الحرب على العراق كما يقول هيكل-ضرورة أمريكية شعبية بتعبير بوش وأجمها هيكل بقوله - أحوال إنسانية،وصراعات سياسية،ومطالب إمبراطورية،وضرورات بترولية، ولوازم انتخابية،وكله يتداخل ويختلط في وعاء طبخ القرار الأمريكي،وذلك طبق يحتاج إلى محسنات للطعم ولمسات جمال على الشكل ترضي الذوق وتفتح الشهية وعندما تجيء لحظة إضافة المقبلات من نوع، أسلحة الدمار،إبعاد الدكتاتور،ضمان حقوق الإنسان،ومستقبل الديمقراطية.

إلا أن الإعلام لعب دورا رئيسا في الإعداد والتغطية أكثر حتى من الجهة السياسية الذي تراجع دورها لحساب الإعلام والتلفزيون الذي أخذ يقود السياسة والسياسيين مما يعني أن السياسة أصبحت تصنع على مواصفات يهمها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة، حتى أن عملية الانتخابات الأمريكية بمجملها تأثرت بالإعلام وصناعة الإعلام وتوظيفه لصعود درجات البيت الأبيض، وبعد انكشاف الحقائق بعد احتلال العراق وسقوط كل الشعارات التي دفعت أمريكا لاحتلاله من كونه يملك أسلحة دمار شامل ومن علاقته بالقاعدة التي قامت بأحداث 11 سبتمبر وغيرها من مبررات كان لابد

لشعار الحرب على الإرهاب أن يبقى متوزعا في الوعي الشعبي الأمريكي لحساب استمرار التأييد لسياسة بوش في صناعة عالم الشرق الأوسط الجديد من هنا دخل الرعب والإرهاب والترويع كمفردة أساسية ومضمون يكرر كل يوم في وسائل الإعلام الأمريكية.

إن الهاجس الأكبر للسياسة الأمريكية هو مسألة الأمن الخاص بها، والذي جعلته أحداث 11 سبتمبر في أول قائمة الاولويات، وكان على الإعلام أن يساهم في توظيف معطيات الإرهاب بحجة الدفاع عن الأمريكي أينما كان.

إن أمريكا في بحثها عن أمنها الذاتي خارج العلاقات الدولية المتوازنة جعلها تعيش الإرهاب يوما بيوم في تفاصيل حياة الشعب الأمريكي، وكان أن زرع الإعلام هذا الترويع بالإرهاب في زاوية سيكولوجية من الشخصية الأمريكية، حتى أصبح هوسا نفسيا جماعيا حيث أن تسويق الخوف كان من ابرز ما اعتمدته الإدارة الأمريكية منهجا وسلوكا ووظفت لتمريره منابر الصحافة والإعلام، وهذا قاد بشكل غير مباشر إلى جعل الإعلام الأمريكي إرهابيا كما يقول احد الكتاب وبالتالي لم يعد الخوف منذ الحادي عشر من سبتمبر لازمة نفسية إنسانية تطفو وتخفت، بل اصبح هوسا نفسيا جماعيا لن

يتسنى التخلص منه إلا بالتخلص من العناصر التي تشيعه وتغرسه في النفوس بقوة لتكرار وتتخذ منه مذهبا ومسلكية -.

لقد صنع الخوف والترويع من الإرهاب إعلاميا ما يسمى بالإرهاب لإعلامي خاصة بعد أن ركز الإعلام على إقناع الأمريكيين أن هناك مؤامرة تستهدف الحياة الأمريكية وحضارتها حيث يردد احد الكتاب قوله - لم يتصور الأمريكيون نتيجة ذلك حتى مجرد التصور أن هذا المسرخ سيرهنهم لا محالة إلى مالا نهاية، سيرهنهم كدولة وقوة، وسيرهنهم كإعلام إرهاب _.

هكذا أصبح الإعلام أداة الجريمة التي تمت في العراق فهل يحق لنا بعد كل هذا أن نقول ان الإعلام الأمريكي للداخل والخارج - أصبح إعلام إرهاب حقا؟

ن الخلاصة التي توصل إليها احد الباحثين وهو يتحدث عن سقوط الإعلام الأمريكي من مثاليته ونموذجيته في حرب فيتنام وفي حريته وموضوعيته وكونه سلطة رابعة إلى أن أصبح في المحصلة النهائية هيمنة شبه مطلقة في الحرب على الإرهاب من جانب المؤسسة العسكرية على وسائل الإعلام والاتصال، وهيمنة هذه الأخيرة على ما سواها من وسائل الإعلام .

إن أمريكا بدلا من أن تقضي على الإرهاب بشعار اجتثاث جذور الإرهاب التي أفرزتها أحداث 11سبتمبر فإنها تعدتها إلى شرعنة إرهاب الدولة، وهكذا نرى أن الإعلام الأمريكي اخذ قيادة مصطلح حرب الحضارات عبر توظيف مفهوم الإرهاب الإسلامي حتى بدون أي دليل على ذلك بغرض حرب الإسلام إعلاميا، فدعوة كبار الساسة الأمريكيين ومستشاروهم العسكريون والمدنيون لتطبيق شعار من ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا قد مرسه الإعلام وروج لمضامين الحروب الصليبية الحضارية الجديدة.

إن درسة دقيقة لمعطيات الإعلام الأمريكي بضوء التصريحات السياسية و لعسكرية هذا الشعار قد أدت فعلا إلى ذلك، فبقدر ما تسرع المستوى السياسي و لعسكري في تحديد الجناة– وابدى عزمه على ملاحقتهم واستئصال جذورهم لا مقاضاتهم، بقدر ما سار الإعلام على نفس المسار ونسج على منواله وكيف الرأي العام الداخلي منه بالأساس للاصطفاف وراء ذلك القرار– فهل نتجنى على هذا الإعلام حينما نصفه بأنه إعلام إرهاب أمريكي؟

الإعلام سلاح

الإعلام سلاح

حينما كان نبليون يمارس قيادته العسكرية على جنوده،ويستخدم كل الأسلحة العسكرية في حروبه، لم يكن وهو المشهور بعبقريته العسكرية وفتوحاته لينسى سلاح الإعلام، وما يمكن أن يفعله بالحرب ضد أعدائه في الداخل والخارج، وشد ما كان يغيضه النقد البسيط في الصحافة إذا وجه إليه، مما جعله يكتب رسالة إلى فوشيه يطالبه بسد باب النقد والانتقاد على الصحف أو يضطر إلى إغلاقها، جاء في رسالته تلك (اقمع الصحف أكثر، واجعلها تنشر مقالات جيدة، وإلا فإني سأوقفها كلها ولن اترك سوى واحدة، لقد انتهى زمن الثورة، ولم يبق لي فرنسا إلا حزب واحد،ولاشيء يؤلمي ويثير خوفي أكثر مما تنشره لصحف لتعيق مصالحنا).

على أن التشبيه الذي استخدمه نابليون كما نقله عنه مترنيخ في هذا المجال وغدا مضرب الأمثال في السلطات التي تتمتع بها الصحافة والصحافيون، هو الذي جاء معبرا أكثر عن قوة سلاح الإعلام في الحرب حيث يقول مترنيخ نقلا عنه قوله (إن مقالة صحافية تساوي جيشا من 300 ألف رجل..وهؤلاء لا

يراقبون الداخل ولا يخيفون الخارج أفضل من دزينتين من حثالات الصحافيين)[1].

ترى هل الإعلام يمكن أن يكون سلاحا حربيا حقيقيا؟ وما هي الإمكانية التي يستطيع أن يحققها في الحروب المعاصرة بعد أن حدثت ثورة المعلوماتية وثورة تكنولوجيا المعلومات ومعطيات العولمة؟.

في مراجعة تحليلية معاصرة لعلاقة الإعلام بالحرب، يتحدث احد الكتاب المعاصرين قائلا (كلما كانت هناك حرب فثمة إعلام، وكلما كان هناك إعلام فثمة قبلها معلومات ومعطيات وبيانات، فالمعلومات بما هي مادة الإعلام وأداته كانت ولا تزال عصب الحرب، كانت وستبقى احد عناصر الترتيب والإعداد لهذه الأخيرة واحد أهم العوامل للحسم في مسارها وتوجهاتها)[2].

ولا شك أن ممارسات الحرب قديما كان لها بعد إعلامي سواء عبر الحرب النفسية ومعطياتها أو عبر تسريب أخبار كاذبة أو إشاعات للتأثير على العدو، أما اليوم فإننا نجد أن (مختبرات الحرب ومصانعها خدمت عن دراية في حالات، وعن تغافل في حالات أخرى المؤسسة الإعلامية-بما هي مجمع المعلومات

---

(1) م ص376.

(2) التكنلوجيا والإعلام والديمقراطية ص64.

ومورجهـا ومروجهـاه ولـيس مـن الـشذوذ في شـيء إذن أن كانـت المؤسـسة العسكرية تدعي لنفسها منذ القدم ما يشبه الأبوية على هذه المؤسسة الإعلامية، وأن تعتبر هذه الأخيرة بمدى مالها من دين إزاء الأولى) [1]

لقد أطلقت مصطلحات الحروب الإعلامية على ممارسات كثيرة بعد أن أخذت التكنلوجيا تغزو مساحة الإعلام بعد أن غزت مساحة الحرب ومعاركها، وهذا ما جعل التطورات التكنولوجية والمؤسساتية التي طالت فنون الحرب - وأساليب تخطيطها وتنفيذها لم تستثن من تيارها المؤسسات الإعلامية والاتصالية بما هي تقنيات وترتيب وتخزين وترويج للمعلومات، بل إن هذه العلاقة وصفت بالتلاحمية بين الإعلام والحرب حتى درجة الانصهار ليطلق عليهما حرب المعلومات، أي تطويع المعلومات بغرض توظيفها لأغراض عسكرية وقتالية تحديدا.

يقول أحد الباحثين المعاصرين (إن الحرب الإعلامية المرتكزة على بنى للمعلومات متقدمة، ومعطيات مؤمنة هي في ما تتصور أقوى حروب القرن المتوافر حالا وفي المستقبل، بمعنى أنها مطالبة لان تكون بدورها افتراصية حتى

(1) التكنلوجيا والإعلام والديمقراطية ص 65.

يتسنى لها محاربة الإرهاب بأدواته وفي عقر داره كما يقال، وهذا ما تعمل مختبرات البحث العسكري على صياغته وتطويره[1].

ومما لاشك فيه أن حروب الإعلام لم ولن تقف على قضية اجتثاث جذور الإرهاب كما يدعي ممارسوها، بل إنه يصل إلى حدود شرعنة إرهاب الدولة كما هو الحال في الإعلام الأمريكي- كما سنرى- فشواهد التاريخ العسكري كثيرة في الدلالة على استخدام الإعلام العسكري كسلاح حربي، بل إن مصطلحات الحرب نفسها أخذت تطلق مجازا على ممارسات هذا الإعلام فأخذنا نسمع في قاموس الإعلام أشبه ما يكون بقاموس الحرب لما يتضمنه من مصطلحات[2] كالهجوم والدفاع والتجسس من مثل وابل الرسائل، والحملات الإعلامية،المعارك الكلامية، الإذاعات الموجهة،العدوان الإذاعي، استطلاع الرأي، الغزو الثقافي،الغزو الالكتروني، الاكتساح الإعلامي العنف الترفيهي، العنف الرمزي.

بل يصل الأمر بأحد الباحثين أن يتحدث عن التلفزيون كآلة حرب كاسحة وكأنه يتحدث عن سلاح عسكري فريد حيث يقول (أصبح التلفزيون

(1) م ن ص68.

(2) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص350

وغيره من وسائل الإعلام آلة حرب كاسحة لابد أن نتصدى لها بالدروع والمتاريس، ألم نسمع عن القمر الصناعي للبث التلفزيوني الذي كانت الولايات المتحدة تحت إدارة جورج بوش الأب تنوي إطلاقه بهدف إسقاط حكم كاسترو المناهض لها في كوبا؟[1].

لقد صنف الإعلام على أنه من القوى اللينة مقارنة بالقوى التقليدية الصلدة، ولعل هذا يعود إلى أنه لا يحمل مدفعا أو رشاشا أو قنبلة ولا يهدف إلى مثل ما تفعله هذه الأسلحة بل إلى أعمق وأكثر من هذه، حيث تعمل آليات الإعلام حربيا بسلاح (الجذب لا بالضغط، وبالترغيب لا بالترهيب، وتستخدم لغة العقول والقلوب من أجل اكتساب الآراء لا كسب الأرض، ومن اجل انتزاع الإرادة الجماعية لا نزع السلاح والملكية، ومن أجل فرض المواقف وزرع الآراء بدلا من فرض الحصار وزراعة الألغام، ونستطرد في حديث الفوارق بين القوى اللينة والقوى الصلدة لنشير إلى كيف أصبح توسيع نطاق الإعلام في مقام نشر القوات وأصبحت الأجندة في مقام التكتيك، والهوائيات والفضائيات في مقام ترسانات الأسلحة ومنصات الصواريخ، ومن حيث أسلوب الممارسة تختلف القوى اللينة زمنيا وجغرافيا وكون القوى الصلدة لا تستخدم إلا في

(1) ن م ص350

حالات الضرورة القصوى ودون ذلك فهي قابعة هناك للردع لا للفعل، في حين تمارس القوى اللينة بصورة مستمرة ودائمة وعلى عكس القوى المادية التقليدية، كلما رهفت القوى الرمزية واستترت وخفت فيها نبرة القوة ونجاجتها ازدادت قدرتها وتغلغل مفعولها لينفذ إلى طبقات اللاوعي الفردي والجمعي حيث يفعل فعلته خفية بصورة لا إرادية أو شبه ذلك)[1].

لقد كانت الحروب تخاض بالسلاح كما كانت تخاض بالكلمات منذ فجر التاريخ لتقوى وتتجاوز في فتكها فعالية الأسلحة، ويمكن التدليل على [2] حجم التخوف الذي يجعل الكلمة مقصلة قادرة على القتل وتهيئة المعارك وإذكائها عن طريق تشويه الصور وحقن النفوس والتحفيز على التدمير، وهذا أمر أيضا في صلب الصراعات العسكرية والسياسية ويدرس في الجامعات مادة أساسية في الدعاية السياسية والحروب النفسية وعلم الإشاعة وتضليل الحقائق وتشويهها كباب في هزيمة الآخر وإعادة إحيائه.

لقد استخدمت الدول الاستعمارية الإعلام في غزواتها واستعمارها لشعوب ودول مختلفة حيث (ظل الإعلام باعتباره أحد مكونات المعرفة مرتكزا

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص349.

(2) الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص203.

هاما في مثلث السلطة الاستعمارية إلى جانب القوة والثروة،ويبرر ممارساتها اللاإنسانية ضد الهنود الحمر في أمريكا الشمالية والزنوج في افريقيا وشعوب آسيا وسكان استراليا الأصليين فقد امتدت قنوات الاتصال المتمثلة بالكيبلات تحت البحار مع امتداد حركة الجيوش وخطط سيرها، واستخدمت الإذاعة السمعية فور ظهورها في عمليات الدعاية والتوجيه والتحريض لخدمة الإمبريالية)[1].

لقد كان من أعنف ما قام به الإعلام لتنفيذ المهام الإمبريالية الجديدة هو وقوفه أمام التدفق الواسع من الشعارات والأحداث التي يتم بثها إلى المجتمعات المستهدفة والتركيز المتواصل عليها عبر الأفكار والمعلومات والصور وأنماط القيم الجديدة القادمة من الخارج والتي لم يكن للمجتمعات دور في إنتاجها وصياغتها، وقد ساعد ذلك في خلق أزمة هوية لدى هذه المجتمعات كما أدى إلى العصبيات القبلية بشراسة في أفريقيا وإلى الطائفية في الهند والمذهبية في باكستان وأفغانستان والقومية الضيقة في البلقان والتطهير العرقي والعنصري الإسرائيلي في فلسطين)[2].

---

(1) علم اجتماع الإعلام ص122

(2) علم اجتماع الإعلام ص127

على أن الحرب على العراق كشف قدرة هذا السلاح الرهيب كما استخدمته الولايات المتحدة كما يقول أحد الكتاب في شهادته عنها حيث جاء (ففي معمعة الحرب احتل الإعلام موقع القلب، وكان إن نظر له باعتباره رديفا استراتيجيا لا يمكن التعامل معه بخفة،ولم يتم الاعتراف بمركزيته فقط في دعم المجهود الحربي، بل اعتبر جزءا لا يتجزأ وأساسيا من ذلك المجهود،وإذا كانت الحقيقة هي أولى ضحايا الحروب كما يقال لكن هذه المقولة المعروفة كان يجب أن تدفع بالإعلام إلى كسر القيود التي تفرض عليه للحيلولة دون الحقيقة وليس للاستسلام لما تتضمنه، لقد سقطت الموضوعية والمهنية من الإعلام الأمريكي-البريطاني حينما صدرت توجيهات لهم من أعلى مراكز صنع القرار في واشنطن تطالبها بأن يكون موقفها وبثها الإعلامي خلال الحرب وطنيا ومنسجما مع المصالح الاستراتيجية الأمريكية، وفعلا التزمت وسائل الإعلام هذه الأوامر بحذافيرها، ولو راجعنا عدد الصحفيين الذين قتلوا هناك والذي فاق أي حرب أخرى وهو عدد غير مسبوق لرأينا ان هذا يدل على أمر هام هو حجم الكذب الذي كان يراد له أن يمر دون انكشاف حتى تظل اسطوانة اكذب علي هي السائدة)[1]

(1) اكذب علي -كتاب معروض على الإنترنت ملخصا من موقع الجزيرة.

لقد كان هناك تعزيز لمسألة دور الإعلام الغربي في الحرب كآلة ضرورية لتطبيق الحرب النفسية، أي انه تخلى تماما عن دور المعلم الذي يكون همه اللحاق بالمعلومة والخبر والبحث عن الحقيقة، لقد[1] انحاز الإعلام الأمريكي البريطاني المتنفذ بتياراته الرئيسة إلى منطق الحرب، ولم يسأل القائمين عليها كما هي أصل مهنته المساءلة والتشكيك بل عوضا عن ذلك ضحى بالمهنية والموضوعية وداس على كل المدارس الإعلامية التي كان رياديا في تكريسها في حقل الإعلام وتمترس في خندق الحكومات.

لقد خرجت مصطلحات تربط بين الإعلام والاستعمار لهذا الرئيس الفنلندي يقول[2] بأن الساحة الدولية تعاني من حالة يمكن أن نصفها بالاستعمار الاتصالي حيث أن ثلثي حجم الاتصال الذي يسود العالم يبدأ أصلا من الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الإشارة تؤكد ان مصطلح الاستعمار الإعلامي قد بدأ يأخذ مداه الأوسع في أدبيات الإعلام الدولي.

إن الإعلام سلاح حربي وسياسي وثقافي واقتصادي واستعماري، وقد أدركت هذه الحقيقة بعض القوى منذ الحرب العالمية الثانية فبدأت القوى

(1) م م

(2) الاتصال الدولي والعربي ص76

والنخب في الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على تكريس مصادرها ،متلة للسيطرة على وسائل الإعلام بقصد التحكم في الرأي العام الأمريكي و لعالمي لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية، ومن أبرز هذه الجهات لشركات لكبرى المتعددة الجنسيات ومجلس العلاقات الخارجية في الكونغرس الأمريكي إضافة إلى وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية[1].

بل إن بعض الباحثين في الإعلام يذهب إلى (أن القدرات العسكرية لكل بلد لم تعد تحسب بعدد الجيوش وكثرة العتاد، بل إن الشيء الذي يجب أن نضعه في الحسبان أن البث عبر الأقمار الصناعية الأكثر خطورة لأن أي دولة لا تستطيع أن تمنعه أو تحول بينه وبين مواطنيها وإن تمكنت فإن ذلك إلى حين)[2]

وهكذا نجد أن أمريكا ومن خلال البث المباشر تحاول السيطرة على العالم وتطبيق نظامها العالمي الجديد باعتباره جزءا أساسيا من الاستراتيجية العسكرية والسياسية والاقتصادية لها، ولعل هذا قد عبر عنه الكونغرس في إحدى قراراته خير تعبير وحتى قبل بدء ثورة تكنولوجيا الاتصال المعاصرة حيث جاء في قراراته (يمكننا أن نحقق بعض أهداف سياستنا الخارجية من خلال التعامل

(1) ن م ص113

(2) إشكاليات الإعلام والاتصال في العالم الثالث ص203

المباشر مع شعوب الدول الأجنبية بدلا من التعامل مع حكوماتهـا، مـن خـلال استخدام أدوات وتقنيات الاتصالات الحديثة، يمكننـا اليـوم أن نقـوم بإعلامهم والتأثير في اتجاهاتهم بل ويمكن في بعض الأحيان أن نجبرهم على سلوك طريـق معين، وهذه المجموعات يمكنهـا بـدورها أن تمـارس ضغوطا ملحوظـة وحتـى حاسمة على حكوماتها)[1].

إن أي سلاح إنما يعبر عن انه قوة أو سلطة لكـي يقـوم بعملـه في التـأثير على الأحداث سواء في الحرب أو السلم، فكيف فهمت قـوة الإعـلام وكيـف فهمت سلطته الكبيرة حتى اعتبرت سلطة رابعة مـن سـلطات الدولـة الـتي لها القدرة على التأثير والتنفيذ؟

---

(1) ن م 204

الإعلام سلطة سياسية

الإعلام سلطة سياسية

لاشك أن الإعلام قوة كبيرة يلعب دوره في كل مجالات الحياة ،السياسية والثقافية والاقتصادية، وإذا كنا قد شبهناه بالسلاح الحربي فليس ذلك من باب الغلو في مدحه وإعطائه ما ليس له، ولولا أن يكون الإعلام ذا قوة وسيطرة وتحكم لما حرص على كسبه إلى جانبه واستخدامه وتوظيفه كل قادة العالم سواء كانوا قادة شعوب أو جيوش ومنذ أقدم العصور

على أن الإعلام حينما يكون سلطة سياسية فهو إنما يعبر عن قوة تأثيره في هذا المجال حتى وصفت الصحافة وهي إحدى تعبيراته عن نفسه بأنها سلطة رابعة بعد السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، وحينما توصف الصحافة بأنها صاحبة الجلالة فإنما لتأثيرها الكبير في المجتمعات فأعطيت صفة من صفات الملوك والحاكمين.

يقول أحد الكتاب عن السلطة الرابعة ضمن السلطات ،لإعلامية وفي إطار تحليله لكلمة سلطة ومرجعيتها (منحت القداسة الكلمة سلطة،إذ ربطتها بقوة ،لغيب وكانت تنعكس في حللها متخذة أشكالا متنوعة للسلطة و لإبداع في لكتابة، الأمر الذي شكل المفسرين للأساطير التقليدية في مجالي ،لفلسفة و لدين، وقد عانت الكتابة الصحفية ومثلها الكتابات الأدبية عبر التاريخ من

عتبار هذه الحلل مظاهر اقتدارات لهذه السلطة أو تجليات لها.. وو صلت لصحافة معاركها -فاعتبرت سلطة رابعة في ترتيبها أو السلطة الرابعة، وراحت تستعيد قوتها وتحققها لتغدو صاحبة الجلالة، وإذ تراجعت أمام تقنيات لصورة فإنها مازالت في حكم الدولة أكثر من البيت الأبيض في لولايات لمتحدة الأمريكية حيث يحكم الرئيس أربع سنوات بينما تحكم الصحافة إلى لأبد)[1].

وإذا كانت صفة السلطة الرابعة التي أطلقها الكاتب والسياسي البريطاني ادمون بورك عام 1787 إنما كانت تعكس الطابع النضالي في ذلك الوقت بين الإنكليز والثورة الفرنسية ومعطياتها ضد نابليون الذي كان يخشى من النقد الصحفي بل ويساوي بين قدرات مقالة صحفية وقدرات 300الف جندي، إلا أن هذه السلطة ترسخت أكثر فأكثر في كل النضالات التي خاضتها لشعوب بعد ذلك ضد محتليها أو حكامها أو مستعمريها وضد كل اعتداء على حقوقها، فهذا الكاتب الفرنسي شاتوبريان يصف الصحافة المكتوبة بأنها الكهرباء الاجتماعية حيث جاء ذلك في رسالته إلى ملك فرنسا شارل العاشر يحضه فيها على الإقرار بسلطات الصحافة عام 1830 حيث يقول (كانت الصحافة عصرا

(1) الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص362

مجهولا في الماضي وسلطة فائقة أدخلت الآن في العالم، إنها الكلام في حلته السريعة إنها الكهرباء الاجتماعية، فهل يمكنك تجاهل وجودها؟ كلما زعمت أنك ملم بها وتفهمها ازدادت حدة انفجارها وأضحت أكثر عنفا، عليك إذا أن تصالح معها كما فعلت في الماضي مع آلات البخار، يجب عليك لتمرس بها مع اتقاء مخاطرها،وهكذا تنحسر هذه السلطة شيئا فشيئا فتسقط وتتلاشى في الاستعمال اليومي فتدجنها أو تعيد بناء عاداتك وقوانينك وفق مبادئها التي تحرك البشرية من الآن فصاعدا)[1] .

لاشك أن الكلمة الصحفية تستمد قوتها من القيمة الانفعالية التي تثيرها حينما تعبر عن التحفيز والحض على فعل ما، وهي تؤثر في الجهاز العصبي للإنسان بمفعول سحري طالما استخدمها به سحرة البشر، إنها إيقاع يفتح الوعي وينير، ثم يغذيها بالانفعال الإيجابي أو السلبي، إنها كلمة إذا ارتبطت بالمقدسات أصبحت دينا أو عقيدة ومرجعية إلهية لها قوة سيطرة إيحائية تتجاوز أي سيطرة او قوى أخرى، وإذا ارتبطت بالوطنية أصبحت مقياسا لكل القيم والتضحيات المطلوبة دفاعا عن أرض وشعب وحكومة، أما إذا ارتبطت هذه الكلمات بترديد

(1) الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص368.

إيقاعاتها المكرر فإنها تصبح تنوكا مغناطيسيا يزرع إيحاءاته في اللاوعي الفردي والجمعي ثم يتحول إلى سلوك ذي طابع جبري قاسر.

هكذا كانت الكلمة في الصحيفة تتحول من شعار إلى ممارسة وسلوك من قبل المجتمع فتقوده إلى مسارات معينة ومحددة بمضامينها.

وحينما تحولت هذه الكلمة المكتوبة في الصحافة إلى صورة مرئية عبر الشاشات أخذت زخما أقوى، فالصورة وألوانها وحركاتها تستدعي استجابة إنفعالية شديدة أقوى من الكلمة المكتوبة، حيث أنها تستدعي إيحاءات أكثر غنى وأعمق تأثيرا، وهكذا أخذ التلفزيون يكتسح الوعي الإنساني ويقولبه ضمن سياقات مرسومة لتضاعفت قوة وسيطرة الإعلام بالشاشة عما كانت عليه في الصحيفة، حتى اذا وجدنا الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة تضخمت هذه السيطرة بشكل غير مسبوق فأصبح الإعلام قدرة هائلة كسيطرة على الوعي والعقول سواء بمعلومات حقيقية أو مضللة، وينجر الوعي هنا إلى أن ينغلق على نفسه فيدور في مدارات محددة يقدمها له الانترنت في الصورة والصوت والكتابة.

من هنا أصبحت الصحافة الالكترونية كأداة من أدوات الانترنت تجمع بين السلطة الرابعة التي كانت لها حينما كانت صحافة ورقية،إضافة إلى معطيات

الانترنت الصورية الملونة فتحول الإعلام عبره إلى غول يلتهم معطيات المعرفة ويعيد صياغتها بشكل مبرمج ويتلاعب بالعقول وبالوعي كما يشاء،وهو إنما يبني معطياته المعرفية في تأثيرها على السياق الذي قدمته وسبقته الصحافة الورقية بكلماتها المقدسة المرتبطة بالمرجع الإلهي إن كانت دينا أو عقيدة وبالوطن إن كانت وطنية المرجع والمآل.

من هنا دخلت معطيات العولمة الإعلامية عبر الانترنت لتفتح مجالا للإعلام كسيطرة وتحكم، وتوجيهه وتأثيره حتى أصبحت سلطة سياسية لا تقاوم.

لقد تحدث الرئيس الأمريكي الأسبق بيل كليتون لمجلة فورين افيرز عام 1996 عن هذه السيطرة قائلا (المعرفة هي أكثر من أي وقت مضى سلطة، فالدولة التي ستتزعم ثورة الإعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة، هذه السلطة اللامادية ستمكننا من التحكم في العلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة، وبالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة[1].

---

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص24

ومن خلال هذه السيطرة السياسية للعولمة الإعلامية رأينا آل جور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق ينادي بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء أغنياء العالم وفقراؤه ويدعو إلى تجاوز الأيدلوجيات في عصر العولمة هذا، إنه يقول (دعونا نتجاوز الأيدولوجيا لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء أساسية معلوماتية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر وتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية)[1].

وقد سبق لمستشار الرئيس الأمريكي الأسبق بريجنسكي أن[2] جعل من العولمة وسيلة لخلق تجانس سياسي وإقامة الديمقراطية وتجانس اجتماعي وحرية التنقل وتأمين حقوق الإنسان وتجانس في المعلومة لمن يريدها، وهي تجانسات ستركز في بعض جوانبها على فن الإقناع نفسيا بالوسائل والأدوات المتاحة وبينها وبين استخدام القوة الردع النفسي- عند الضرورة بهدف فرض قناعات بديلة لعموم المجتمعات البشرية التي باتت قريبة من بعضها بحكم وسائل الاتصال عالية الجودة.

---

(1) ن م.

(2) العولمة وتجلياتها الثقافية والنفسية -الانترنت.

ولاشك أن هدف التجانس والتماثل والتنميط هو هدف كامن في أيدلوجيا الاتصال أساسا وهو يعرض نفسه في كل وسائل الاتصال كمعطى بديهي، إنها سيطرة سياسية للانترنت ووسائل الإعلام على وعي البشر وتوجيه سلوكهم في مخطط وطرق محددة مسبقا.

هكذا نجد أن وظائف الإعلام التقليدية قد تحولت في عصر العولمة والانترنت إلى وظائف جديدة تذهب بكل طاقاتها إلى تحقيق السيطرة السياسية عبر الهيمنة ،لإعلامية وكما يقول أحد الباحثين عن وظائف الإعلام ،المعاصر (إن التغير الذي طرأ على حجم عمليات الاتصال والدور المناط بها يتصل مباشرة بعملية تدويل الإنتاج والبث والتصوير وكلها ذات علاقة باستخدام أنماط جديدة لممارسة الهيمنة السياسية، ولهذا تبدو وظائف الإعلام ووسائله مختلفة عما سبق وترتكز بصورة أساسية على تهيئة الأجواء والقناعات وبلورة مشاعر مستهلكي المادة الإعلامية بأنهم ينتمون إلى بيئة سياسية دولية واحدة، وهذا يفسر بالمقابل مبررات توجهات إعلام الدول أو البيئات المعرضة لمثل هذه الحملات في مقاومة التسلط والدفاع عن حقوق الإنسان المقهور اجتماعيا في تبني ثقافته وسياسيا في ضمان حريته ووطنيا بضمان استقلاليته أي أن توسع

الهيمنة الإعلامية أحدث واقعا جديدا يستدعي بالضرورة اهتمام الدول والمجموعات الدولية)[1].

إن محاولة وضع السيطرة السياسية للإعلام يقود إلى القول أن هذه الإعلام يمكن أن يمارس التضليل بقوة غاشمة بطبيعته التقليدية، أما إذا أضفنا له التقدم التكنولوجي الجديد فإنه يمكن أن يكون أداة استعباد غير منظورة في خدمة السياسيين والحكام.

ولعل خير من حلل آليات الإعلام الأمريكي في التضليل الإعلامي هو هربرت شيللر في كتابه المتلاعبون بالعقول ومن ثم هربرت ماركوز في كتابه الإنسان ذو البعد الواحد، يقول شيللر في مقدمة كتابه المتلاعبون بالعقول (يقوم مديرو أجهزة الإعلام في أمريكا بوضع أسس عملية تداول الصور والمعلومات ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها،تلك الصور والمعلومات التي تحدد معتقداتنا ومواقفنا بل وتحدد سلوكنا في النهاية، وعندما يعمد مديرو أجهزة الإعلام إلى طرح أفكار وتوجهات لا تتطابق مع حقائق الوجود الاجتماعي فإنهم يتحولون إلى مسائسي عقول)[2]

(1) علم اجتماع الإعلام ص116.

(2) المتلاعبون بالعقول ص5

وهكذا يصل شيللر إلى تأكيد الحقيقة المخيفة والتي تظهر آثارها اليوم أكثر من وقت كتابتها في السبعينات ألا وهي (أن تدفق المعلومات في مجتمع معقد هو مصدر لسلطة لا نظير لها، وليس من الواقعية في شيء أن نتصور أن التحكم في هذه السلطة سوف يتم التخلي عنه عن طيب خاطر)[1]

على أن شيللر وبعد بحث عميق وتحليل دقيق لآليات الإعلام الأمريكي وتأكيده على أن معظم الأمريكيين محصورون أساسا وإن لم يعوا ذلك داخل نطاق مرسوم من الإعلام لا اختيار لهم فيه، وأن الأساطير تستخدم من اجل هدف محدد هو السيطرة على الشعب عندما يتم إدخالها على نحو غير محسوس في الوعي الشعبي من خلال أجهزة الإعلام فإن قوة تأثيرها تتضاعف من حيث أن الأفراد يظلون غير واعين بأنه قد تم تضليلهم حيث أن عملية السيطرة تصبح أكثر فعلية من خلال الشكل الخاص الذي يجري نقل الأسطورة من خلاله حيث أن تكنيك النقل يمكن أن يضيف بذاته بعدا جديدا إلى العملية التضليلية، ويؤكد شيللر (إن شكل الاتصال أو الإعلام على النحو الذي تطور به في

(1) ن م ص12



البلدان التي يسود فيها اقتصاد السوق وخاصة الولايات المتحدة هو تجسيد فعلي للتحكم في الوعي)[1].

من كل ذلك يصل شيللر إلى خلاصة القول بأن (الحقيقة المركزية السابقة على أية حقيقة أخرى أيا كانت الوجهة التي يتجه غليها صناع تقرر في أي موقف معين،هي أن السيطرة على الإعلام قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من السياسة القومية، ولقد أصبحت أساليب تعليب التصورات و،لأفكار أدوات يجري ستخدامها للتأثير على الرأي العام من اجل كفالة التأييد الشعبي أو على الأقل اللامبالاة الشعبية لتصرفات الحكومة)[2].

ن لإعلام قوة سيطرة سياسية يمكن استخدامها في أي ممارسة شعبية أو حكومية، بل إن الإعلام يشكل أفكار الساسة أنفسهم وأقوالهم وأحيانا تتداخل الخنادق بين الساسة والإعلاميين (وقد اقتربت مهنة رجال السياسة من مهنة الأداء لعلني حتى كادوا يصبحون نجوما إعلاميين، وكاد الصحفيون بدورهم أن

(1) المتلاعبون بالعقول ص33.

(2) ن م ص218

يصبحوا نقادا دراميين هذا من وجهة نظر الحاكم ن أما المواطنون فمعظم ما يعرفونه عن شؤون السياسة يأتيهم من جانب الإعلام)[1].

على أن هربرت ماركوز يشدد في نقده للمجتمع الذي تسود فيه وسائل الاتصال الجماهيري بأساليبها التضليلية فيتحدث عن قولبة كاملة للمجتمع عبر خلق حاجات استهلاكية كاذبة وتلبيتها لدعم اقتصاد السوق، يتساءل ماركوز (هل الحاجات التي يلبيها المجتمع هي حاجات حقيقية أم كاذبة، حاجات إنسانية حقا وتلقائية أم حاجات مصطنعة اصطناعا ومفروضة فرضا؟ يجيب ماركوز بأنها حاجات وهمية من صنع الدعاية والإعلان ووسائل الاتصال الجماهيري، وإذا كان المجتمع يحرص على تلبية هذه الحاجات المصطنعة فليس ذلك لأنها شرط استمراره ونمو إنتاجيته فحسب، بل أيضا لأنها خير وسيلة لخلق الإنسان ذي البعد الواحد القابل بالمجتمع ذي البعد الواحد والمتكيف معه، وما الإنسان ذو البعد الواحد إلا ذاك الذي استغنى عن الحرية بوهم الحرية وإذا كان هذا الإنسان يتوهم بأنه حر لمجرد أنه يستطيع أن يختار بين تشكيلة كبيرة من البضائع

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص387

والخدمات التي يكفلها له المجتمع لتلبية حاجاته فما أشبهه من هذه الزاوية بالعبد الذي يتوهم بأنه حر لمجرد أنه منحت له حرية اختيار سادته)[1].

بل إن الإنسان ذو البعد الواحد تزيف له حتى لغته التي تصبح أيضا ذات بعد واحد مقفلة على نفسها منغلقة في ذاتها حيث يعتقد ماركوز أن تقليص المجال الداخلي للفرد يمتد إلى عالم اللغة، عالم التعبير والاتصال الإنساني (فعلى هذا المستوى أيضا تبرز إلى حيز الوجود لغة أحادية الجانب لغة إيجابية تستبعد من تراكيبها ومفرداتها كل الأفكار والمفاهيم النقدية المتعالية، وهذه اللغة هي بوجه خاص لغة محترفي السياسة وصناع الرأي العام الصحافة و لإذاعة والتلفزيون- لغة عارية من التوتر والتناقص والتطور والصيرورة، لغة عاملية،لغة سلوكية، لغة بلا تاريخ،بلا أبعاد وبكلمة واحدة لغة مقفلة منغلقة على ذاتها)[2].

أما آلية الفكر الأحادي الجانب في فرض سيطرته السياسية فيقول ماركوز عنها (ويلقى الفكر الأحادي الجانب تحيينا وتشجيعا دائما من صنع السياسة وممونيهم بالإعلام الجماهيري، فعالم هؤلاء الآخرين المنطقي مليء بفرضيات

---

(1) الإنسان ذو البعد الواحد ص12.

(2) الإنسن ذو البعد الواحد ص16.

تجد في ذاتها تبريرها وتغدو بفعل التكرار المتواصل المركز صيغا تنويمية فروضا مفروضة، فالمؤسسات العاملة في العالم الحر على سبيل المثال هي الحرة أما ما عداها من أنماط الحرية المتعالية فهي الفوضى بعينها .ويضيف (إن العقلانية التكنولوجية تسفر النقاب عن طابعها السياسي في الوقت نفسه الذي تغدو فيه أعظم ناقل لأكمل سيطرة تخلقها عالما استبداديا بكل ما في الكلمة من معنى، عالما يكون فيه المجتمع والطبيعة ، الروح والجسد، في حالة استنفار وتعبئة للذود عن ذلك العالم نفسه)[1].

وحينما نتساءل عن طبيعة هذه اللغة أحادية البعد في المجتمع أحادي البعد المسيطر عليه إعلاميا وكيف تكون هذه اللغة مزيفة وكيف تعبر عن مضامين تتحقق في مثل هذا المجتمع، نجد أن ماركوز يفضح زيفها بشكل لا يقبل الجدل حيث يقول (إن اللغة المقفلة لا تبرهن على شيء، ولا تفسر شيئا، وإنما هي تبلغ لقرار أو الحكم أو الأمر، وعندما تعرف لا يعدو التعريف أن يكون أكثر من تمييز بين الخير والشر، وهي تقرر الصواب والخطأ بصورة لا تقبل نقاشا، وتبرر قيمة ما بواسطة قيمة أخرى،إنها تسبح في التكرار واللغو، ولكن التكرار و للغو يمثلان أحكاما رهيبة الفعالية، إنهما يحكمان ويدينان بواسطة أحكام مسبقة

(1) ن م ص54

والمضمون الموضوعي أي تحريف المصطلحات التي على شاكلة الخرفي وتحريفي هو على سبيل المثال مضمون قانون العقوبات ومثل هذا النوع من التبرير يخلق ضميرا يعتبر لغة السلطة السائدة لغة الحقيقة)[1].

هكذا يصبح المجتمع أحادي البعد سورا مغلقا على أفراده أحادي البعد بلغتهم الإعلامية أحادية البعد، ويكمل الاستعباد البشري للعقل بتحويله من حقل إبداع وتعالي، إلى عقل مبرمج يثرثر ويلغو بكلام لا معنى له خارج المجتمع الذي يصنعه، وتكون حتى اللغة مستعبدة مزيفة تخدم أغراض المجتمع وسياسته ومنهجه وحاجاته الكاذبة.

وإذا كانت لغة ماركوز وشيللر تنصب على مجتمع ما قبل الثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات الجديدة، فإن أضعاف ذلك يحدث اليوم بعد هذه الثورة وبعد انتشار الانترنت والفضاء المعلوماتي والاختراق الثقافي الذي يستخدمه.

هكذا نجد ما يشابه هذا التحليل لأدوات الاتصال المعاصرة حيث يقول أحد الكتاب عن الاختراق الثقافي في الفضاء المعلوماتي وإمكانياته المخيفة (إن

---

(1) ن م ص139

الاختراق الثقافي بوصفه آلية معلوماتية تمارس على المستخدم المقيم في المجتمع الرقمي بواسطة جهات مختلفة تهيمن على عمليات تكييف الوعي الفردي للمستخدم، وتسعى إلى توجيهه صوب غايات متعددة لضمان هيمنة آلة الاقتصاد العالمي ونهجه التسلطي، وبعد أن أصبحت مسألة إخضاع الأبدان المقيمة على الأرض الصلبة مرتهنة بإخضاع النفوس المقيمة في حدود البيئة الرقمية المتخيلة...ونتيجة للأهمية الكبيرة التي تحتلها أدوات التأويل و لتفسير لدى الجهة المخترقة، بدا الاهتمام ينصب على عملية الإدراك بوصفها لباب الرئيسي الذي يضمن نجاح آليات التأثير على الوعي وتذليل العقبات أمام الاختر ق وتزييف أو إعادة تشكيله بنهج يخدم عملية الاختراق الثقافي، ولقد بوشرت عمليات تعديل الوعي بواسطة آليات التسطيح وجعله مرتبطا بما يجري على سطح الفضاء المعلوماتي من تجليات صورية، ونصوص مقيمة في مواقع الويب بطريقة تثير الإدراك وتستنفر الانفعال الذي يحجب العقل ويغيب الوعي في بوتقة المظهر الصوري البراق،وبإحكام السيطرة على الإدراك يصبح الطريق ممهدا أمام تعطيل فاعلية العقل وتكييف المنطق والقيم وتوجيه مملكة الخيال، وتنميط الذوق، وقولبة السلوك بما يخدم آلة الاقتصاد العولمي لتي

تريد أن تلتهم جميع مفردات الفضاء الرقمي والتقليدي وتحويلها إلى عنصر من عناصرها)[1].

هكذا نجد (أن الوسائل السمعية والبصرية من إذاعة وتلفزيون وصحافة وصولا إلى الانترنت الذي يجمع كل وسائل الإعلام، تلعب الدور الأكبر في صياغة الوعي المباشر للمتلقي، كما إنها توحي برموز معينة لغوية وغير لغوية لصياغة الوعي غير المباشر للمتلقي حتى تحكم سلوكه وتبرمجه)[2].

وهكذا نرى أن حرية الإعلام والاتصال أصبحت (من اهم العلامات المميزة للثورة الديمقراطية التي يشهدها عالم اليوم، وأضحت وسائل الاتصال واحدة من أقوى الوسائل لتشكيل المجتمع والتأثير في صناعة القرار وقد وفرت الإمكانيات التكنولوجية قدرات هائلة على صناعة الفكر وتوجيه الكلمة والتحكم في تدفق المعلومات وانسياب الآراء)[3]

---

(1) الفضاء المعلوماتي ص239-240

(2) برمجة الوعي ص51.

(3) ن م ص58

الإعلام أداة إرهابية

الإعلام أداة إرهابية

حينما نحاول أن نراجع صورة أمريكا- القطب الأول في العالم- وصاحبة الدعوة إلى المجتمع العالمي الجديد وصورة الإعلام الأمريكي صاحب دعوة المجتمع الإعلامي العالمي قبل أحداث 11سبتمبر ودخولها في القرن الحادي والعشرين، لوجدنا أن أمريكا داعية الحرية والديمقراطية كانت تنعم بصورة مع شيء من المساعة في الحكم جيلة في أذهان أكثر المجتمعات في العالم، ولم يكن لمسألة الإرهاب أي معطى ثقافي أو عسكري او إعلامي يتجاوز بعض الاتهامات الصغيرة هنا وهناك، والدليل على ذلك تصريحات بيل كلينتون الرئيس الأمريكي الأسبق الذي قال عام 1996 بأن (المعرفة هي أكثر من أي وقت سلطة، فالدولة التي ستتزعم ثورة الإعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة،هذه السلطة اللامادية ستمكننا من التحكم بالعلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة وبالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة)[1].

(1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص24

و لدليل أيضا دعوة آل غور نائب الرئيس الأمريكي الأسبق إلى تجاوز الأيدلوجية حيث قال (لنتحرك معا صوب هدف مشترك لبناء أساسية معلوماتية لمصلحة جميع الدول) والدليل الثالث قول بريجنسكي ودعوته إلى جعل العولمة وسيلة لخلق توجهات لتجانس سياسي وإقامة الديمقراطية وحرية التنقل وحقوق الإنسان والمعلومة لمن يريدها وهي التجانس الذي يذهب ويقوم على فن الإقناع نفسيا بالوسائل والأدوات المتاحة...

هذه الأدلة تعكس صورة أمريكا قبل أحداث 11سبتمبر، إنها تزرع نموذجا ديمقراطيا حرا وتوزعه عبر وسائل الإعلام لكسب البشر في كل دول العالم إلى احتذاء واقتباس هذا النموذج دون الحاجة إلى فعل عسكري تدميري، خاصة وأن أمريكا نفسها هي التي تقود ثورة المعلوماتية وتكنولوجيا المعلومات ومنظومة الانترنت وتتحكم فيها.

ولو حاولنا ومع شيء من المسامحة في الحكم أيضا تجاوز كل الآراء النفسية والانتقادية للإعلام والمجتمع الأمريكي كما طرحها شيللر وماركوز وغيرهم، والتي حللت المجتمع الأمريكي عبر تحليل آليات إعلامه وتدجينه للإنسان الأمريكي في خلق اختيارات وحاجات كاذبة عبر الإعلان وتلبيتها له

على أسس أنها حاجات طبيعية ومن ثم غلق وعي الإنسان الأمريكي ببعد واحد ومجتمع ببعد واحد ولغة ببعد...الخ.

لو حاولنا كل ذلك وبكل طيبة قلب الإنسان العادي، وقارنها بما أصبحت عليه أمريكا وإعلامها بعد أحداث 11سبتمبر وكشفها الوجه الآخر لسيطرتها العسكرية وردة فعلها الانفعالية في مواجهة اعتداءات قام بها بعض الأفراد ضدها، لوجدنا عجبا في عجب كان خير من عبر عنها الكاتب المغربي يحي اليحياوي في كثير من مقالاته التي سنستعرض بعضها هنا - ومنها النص التالي الذي يقول فيه (كيف إذن لدولة استباحت أقدس مبادئها مبدأ الحرية- وأفرغت مشروعها للقرن الحادي والعشرين، مشروع المجتمع الإعلامي العالمي من مضمونه الأصلي المبني على التعاون وتكافؤ الفرص وخلق سبل التواصل والحوار، وأحيت طقوس حروب إعلامية شرسة اعتقد الكثيرون أنها انتهت بانتهاء الحرب الباردة، كيف لهذه الدولة أن تقيم نظاما إعلاميا وتؤتمن على أن يكون أفقا لنظام عالمي جديد؟ كيف لها ذلك وهي التي تنكرت لمبادئ وأهداف كانت المدافع المستميت عنها إلى نهاية القرن الماضي فحسب؟)[1].

---

(1) التكنلوجيا والإعلام والديمقراطية ص56.

ما الذي غير أمريكا على النظام الإعلامي العالمي الذي يدعو إلى انفتاح إعلامي عالمي عبر ثورة الاتصالات والمعلوماتية والانترنت إلى أمريكا الحروب العسكرية في أفغانستان العراق وما سيأتي بعدها؟

كيف دخلت مفردة الإرهاب لتغير سياسة أمريكا من التغيير الإعلامي اللين إلى التدمير العسكري الصلد؟هل إن معطيات الإعلام بعد أن أصبح غولا يوجه العقول ويبرمج الوعي عبر إمكانيات تكنولوجيا الاتصال وصفحات لانترنت، بل أصبح يتحكم في كل غرائز البشر وتوجهات مجتمعاتهم هل ،كتشفت أمريكا كذبة هذه الدعوات صورة النموذج الأمريكي الديمقراطي ،الليبرالي...الخ بعد أحداث سبتمبر فكشفت عن الوجه الآخر صورة راعي البقر وصورة القدرة العسكرية الغاشمة وصورة القتل والتدمير لشعوب، والاحتلال لبلدان،وإعادة منطق الحروب العسكرية ضد كل العالم تحت شعار من لم يكن معنا فهو ضدنا -؟

كيف نعكست صورة الإعلام الأمريكي من الحرية والحيادية والبحث عن الحقيقة كما كان في فيتنام إلى إعلام يشوه الحقائق ويخضع للتوجيه العسكري والسياسي ويتماهى معه في كل طروحاته؟

ومن ثم كيف فقدت صورة الديمقراطية ككل في ممارساتها فتحولت إلى أنظمة للرقابة الداخلية والخارجية حتى على البريد الشخصي للمواطنين وذهبت الألوان البراقة التي كانت تعرضها صورة الديمقراطية تلك؟

لاشك أن الدعوة التي كانت تقودها أمريكا لإقامة نظام عالمي جديد يؤمن بحرية التدفقات الإعلامية ومركزية الانسياب الحر للمعلومات والمضامين، دون عوائق أو حدود هذه الدعوة لا يمكن أن يرسي قواعدها إلا بالتمهيد لها باعتماد نظام إعلامي يرسي البنية التحتية الضرورية ويؤثث لها الهيكلية والشكل كما يقول يحياوي- إلا أن حرب الخليج الثانية وأحداث 11سبتمبر جرها إلى أن تتوقف عن الدعوة إلى الانسياب الحر للمعلومات، وإلى عدم إعطاء الحق في الإعلام والمعرفة ولا البلوغ المتساوي لمصادر الخبر ولا غيرها، وهكذا وجدناها تعتمد التعتيم الذي كان ولا يزال على أشده وسبل بلوغ مصادر الخبر متعذرة والحق في الإعلام والمعرفة مداسا بالأقدام وسياسات الضغط على وسائل الإعلام لتبني الحملة على الإرهاب شاملة ومنهجية)[1]

لقد تحولت أمريكا عن الدعوة إلى نظام الإعلام العالمي بعد أحداث 11سبتمبر إلى ممارسات عبر عنها اليحياوي بشكل دقيق في قوله (فالقنوات

(1) م ن ص54

التلفزيونية الفضائية منها والأرضية لم تعرض من أخبار وتحليلات إلا ما أرادته الإدارة الأمريكية وارتضته، وبالتالي فارتهان حرية الممارسة الإعلامية من جانب المؤسسة العسكرية والتضييق على الحق في الإخبار الحر والمستقل أصبحت القاعدة والسمة المركزية في السلوك الرسمي الأمريكي لا الاستثناء، ناهيك عن الرقابة الذاتية التي لا تعدو في نهاية المطاف كونها استسلاما من طرف المؤسسة الإعلامية، والبريد الالكتروني، المواقع على شبكة الانترنت كما المكالمات الهاتفية والمواقع المؤسطة إعلاميا أصبحت هدف مؤسسات الاستخبارات والتحقيقات والأمن العسكري تماما كما اخترقت حقوق الأفراد والجماعات في التعبير الحر عن الصحافة المكتوبة والتفكير المستقل داخل المنظمات والمؤسسات الإعلامية.

نحن إذن بإزاء تنكر صارخ من جانب الإدارة الأمريكية ومن جانب غيرها في باقي الدول الغربية لمبادئ لم تتجرأ تلك الإدارة ولا تلك الدول يوما على المساس بها أو الطعن في استقلاليتها)[1].

لقد فقد الإعلام الأمريكي حريته التي طالما تباهى بها وبالديمقراطية التي تحتضنه، لقد أصبح أداة في يد الاستراتيجية الأمريكية عسكريا وسياسيا، لقد

(1) ن م ص55

كانت الحيادية صفة متأصلة في الإعلام لأنه سلطة رابعة ولكنه في أمريكا بعد أحداث 11 سبتمبر وحروب أفغانستان والعراق تماهى مع المخطط العسكري دونما رد فعل أو أدنى احتجاج.

وكانت له صفة الموضوعية كإعلام إلا أن محاولة ربط الإرهاب بالمسلمين واعتبارهما مصدر إرهاب وترهيب لأمم وشعوب العالم أسقطه وأفقده هذه الصفة لأنه تهام وتجريم بلا دليل وحتى قبل بحث الاتهام.

أما مصداقيته فقد وضعت على المحك وكما يقول جياوي (فليس لما أصبح الإعلام يمارسه من تعتيم على الأخبار وتقديم مادة المؤسسة العسكرية دونما تمحيص ولكن أيضا لإقصائه وتهميشه كل ما من شأنه مناقشة تلك المادة أو الطعن في واضعيها)

وهكذا سقط الإعلام الأمريكي من نموذجيته في حرب فيتنام في حريته وموضوعيته وكونه سلطة رابعة فعلا إلى أن أصبح (في المحصلة النهائية هيمنة شبه مطلقة في الحرب على الإرهاب من جانب المؤسسة العسكرية على وسائل الإعلام والاتصال، وهيمنة هذه الأخيرة على ما سواها من وسائل الإعلام)[1].

---

(1) ن م ص67.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من كل ذلك هو أن أمريكا بدلا من أن تقضي على الإرهاب بشعار اجتثاث جذور الإرهاب التي أفرزتها تفجيرات 11 سبتمبر بقدر ما سيتمدد إلى شرعنة إرهاب الدولة الذي تعمل الولايات المتحدة بتنسيق نادر مثله مع إسرائيل وباقي حلفائها على تأسيسه.

إن القضاء على الإرهاب واجتثاث جذوره استدعى إرهاب إعلام الدولة الأمريكية، ترى هل أخذ الإعلام الأمريكي قيادة مصطلح حرب الحضارات عبر توظيف مفهوم الإرهاب الاسلامي حتى بدون أي دليل على ذلك بغرض حرب الإسلام إعلاميا؟

هل أن دعوة كبار الساسة الأمريكيين ومستشاروهم- العسكريون منهم والمدنيون- لتطبيق شعار من ليس معنا فهو بالضرورة ضدنا قد مارسه الإعلام وروج لمضامين الحروب الصليبية الحضارية الجديدة وكيف عبر عن ذلك في ممارساته؟

ان دراسة دقيقة لمعطيات الإعلام الأمريكي بضوء التصريحات العسكرية والسياسية لهذا الشعار قد أدت فعلا إلى ذلك (فبقدر ما تسرع المستوى السياسي والعسكري في تحديد الجناة وأبدى عزمه على ملاحقتهم واستئصال جذورهم

لا مقاضاتهم بقدر ما سار الإعلام على نفس المسار ونسج على منواله وكيف الرأي العام الداخلي منه بالأساس للاصطفاف وراء ذلك القرار[1]

أما التفسيرات التي حاول تقديمها السياسيون لطابع الجناة من كونها تآمر على الحضارة الغربية-و استهداف لنمط العيش الأمريكي وتحامل على قيم الليبرالية والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان، حيث لم يكتف الإعلام بنشر مثل هذه الأقاويل وترويجها على نطاق واسع بل عمد بحكم منطق التكرار اللامتناهي إلى جعله حقائق كبرى لا يأتيها الباطل من أمامها ولا من خلفها.

وهكذا، كما يقول يحياوي[2] لم يعد الإعلام ناطقا رسميا باسم المؤسسة السياسية والعسكرية فحسب، بل وأضحى كذلك جهازا معتمدا يشرعن ممارسات تلك المؤسسة ويبرر لها تصرفاتها، بل وقد يزايد عليها في أحيان عديدة عندما يستعجل إنزال القصاص أو يستنكر التردد في اتخاذ القرار -.

على أن ما سماه يحياوي تسويق الخوف- كان من أبرز ما اعتمدته الإدارة الأمريكية منهجا وسلوكا ووظفت لتمريره منابر الصحافة والإعلام وهذا قاد بشكل غير مباشر إلى جعل الإعلام الأمريكي إرهابيا (وبالتالي لم يعد الخوف

(1) ن م ص76.

(2) ن م ص77

منذ الحادي عشر من سبتمبر لأزمة إنسانية تطفو وتخفت، بل أصبح هوسا نفسيا جماعيا لن يتسنى التخلص منه إلا بالتخلص من العناصر التي تشبعه وتعرسه في النفوس بقوة التكرار وتتخذ منه مذهبا ومسلكية)[1]

على أن ما قد يبرر ولو بشكل ضعيف اندفاع الإعلام الأمريكي وراء شعارات سياسية في الإرهاب وغيره هو أن الموجة التي واكبت رد الفعل الأمريكي على أحداث 11سبتمبر طالت حتى المؤسسات القضائية والتشريعية (من هذا المنطلق لم يكن الإعلام وهو القوة المتطلعة دائما إلى الاستقلالية المستهدف الوحيد ولا الضحية الأولى بل انساقت في جريرته قوى أخرى تشريعية وقضائية- لم يكن يوما يزايد على استقلاليتها أو على مصداقيتها وهكذا لم تعد القضية قطعا إشكالية بالنسبة لهذه الجهة أو تلك بقدر ما أضحت رهانا وجوديا لا مجال للمغامرة فيه) وهذا قاد إلى الاستنتاج التالي على قول يحياوي(لا خيار للمنظومة الإعلامية في ذلك فهي بصحافتها المكتوبة والمسموعة والمرئية وبشبكتها لتبادل المعلومات أي الانترنت مجبرة لا مخيرة على الامتثال

---

(1) ن م ص78

لرهانات تتجاوزها وتتجاوز الفاعلين فيها المطلعين إلى الاستقلالية بالأساس وإلا فلا مناص من سقوطها في عصورات أخفها جناني النتائج والتبعات)[1]

وهكذا أمكن وصف الإعلام الأمريكي بأنه أصبح مرهونا كإعلام إرهاب خاصة بعد إقناع الأمريكيين أن هناك مؤامرة تستهدف الحياة الأمريكية وحضارتها (لم يتصور الأمريكيون نتيجة ذلك حتى مجرد التصور أن هذا المسوغ سيرهنهم لا محالة إلى ما لانهاية، سيرهنهم كدولة وقوة، وسيرهنهم كإعلام إرهاب)[2].

هكذا يتحول الإعلام داعية الحرية ومظهرها في التعبير إلى مجرم بحق نفسه وبحق الشعوب لكيف نفهم إعلام أمريكا هذا إرهابيا أو إرهابها إعلاميا على مستوى تغييب وعي مزيف يقوده الخوف والرعب من كائنات ليس لها وجود حقيقي على أرض الواقع؟

كيف تحول أعظم جهاز إعلامي في العالم يضرب به المثل بعد حرب فيتنام بحياديته وموضوعيته ومصداقيته حتى لو كانت ضد سياسة بلاده العسكرية والسياسية؟

(1) ن م ص82.

(2) 85

ثم كيف مارس ويمارس هذا الإعلام أكاذيبه على الجمهور الأمريكي نفسه من خلال إقامة دعوة كاذبة على وجود أسلحة دمار شامل في العراق ليقوم بغزوه واحتلاله وتدميره، وحتى بعد أن اعترفت كل لجان التفتيش لأمريكية والدولية خلو العراق من مثل هذه الأسلحة لم تعتذر حكومة لولايات المتحدة عن خطئها في شن الحرب وبقيت تغير ادعاءتها وتختلق لمبررات الكاذبة فطرحت مسألة نشر الديمقراطية هدفا للحرب، وهاهي ديمقراطيتها في العراق تسبح في بحار الدم العراقي بحرب طوائف وأقليات لتصل إلى شعار الفوضى الخلاقة الكاذبة مرة أخرى كتبرير لتحولات المجتمعات قسرا وحربا ودما؟

الحكومة الأمريكية دمرت مصداقية الإعلام الأمريكي والإعلام الأمريكي بانسياقه وراء تنفيذ توجيهات عسكرية غبية خسر كل الاحترام الذي كان له في العالم على كل الأصعدة، لقد وقف يروج لجريمة من أبشع جرائم لتاريخ لوقوفه مساندا لحكومة وقيادة داست على كل قيم الحرية والديمقراطية التي كانت شعاراتها منذ نشوئها الأول؟

لقد خسرت أمريكا هويتها وتاريخها في حروبها الجديدة وخسر معها إعلامها الذي كان من أولى مهماته كإعلام أن يفرز نفسه خارج سياقتها بعد أن

تبين أن دعواتها وشعاراتها وتبريراتها لهذه الحروب كاذبة ومزيفة بل وتغير منها منذ انكشاف كذبة دعاواها من هدف لآخر؟

لقد صدق وصف يحياوي لهذا الإعلام بأنه أصبح أداة جريمة لأنه تبنى أيدلوجية تعمل على ذلك حيث يقول (المدعاة للدهشة حقا والحسرة والتأسي كذلك أن يتحول الإعلام من جراء هذه الأيدلوجية من وسيلة لمناهضتها والتنديد بها والتشهير بخلفياتها إلى أداة تتكيء عليها تلك الأيدلوجية وتعتمدها في ترويج ما يؤسس لها أو يمرر مضامينها، وبالتالي فالإعلام في عصر أسياد العالم الجدد لم يعد سلطة مضادة كما أوشك أن يكون ذات يوم بل أضحى عكس هذا الإجهاد أو ذاك،أداة توكيء وعدوان بل أداة الجريمة يبررها ويشرعن لمقترفيها ارتكاباتهم، ويكون شاهد زور عندما تقترف ولا تفضح فصولها بالكلمة والصوت والصورة، فالإعلام هو أداة الجريمة التي تمت في العراق...فالعدوان على العراق مثلا لم يثبت فقط مدى ارتهان الإعلام للمؤسسة السياسية- العسكرية بل وأيضا مدى تفضلها عليه- في بعض ما يعطيه قصب السبق أو يضمن له شيء من الإشهار)[1].

---

(1) ن م ص90- 91.

هل يحق لنا بعد كل هـذا أن نقـول أن الإعـلام الأمريكـي أصـبح إعـلام إرهاب حقا؟. فليس القتـل والعنـف الإرهـابي الحقيقـي إلا صـورة مجـسمة في ممارسة أمريكا أولا وإعلامها ثانيا، وكلاهما مشتركان في صـف الإرهـاب رغـم كل أكاذيب دعـواتهم باجتثـاث الإرهـاب أو محاربتـه ورغـم أكـاذيبهم في ربـط الإرهاب بالإسلام كتزييف آخر للوعي الجمعي وللرأي العام للداخل الأمريكي وخارجه،

فكيف تحول الإعلام صورة الحرية والسلطة الرابعة والمنتقد و لرقيب على ممارسات الدولة إلى إعلام إرهابي من الدرجة الأولى ولازال يمارس أكاذيبه عبر مؤسسات وإمبراطوريات ثورة تكنولوجيا المعلومات والعولمة الكاذبة؟

لقد وقف الإعلام الأمريكي ضد نفسه كإعلام، وبدلا من أن يقـف عنـد حدود الكشف عن أكاذيب دعاوى القادة العسكريين والسياسيين بل وبدلا من أن يكـون مـساوقا حتـى ولـو علـى خطـأ باسـم الوطنيـة الزائفـة- للقـرارات والسياسات والقتل والتدمير العسكري إذا به يتحول في ممارسته إلى حرب علـى نفسه، حرب الإعلام على الإعلام فيفقـد هيبتـه وسـلطته الرابعـة ويتر جـع إلى خيانة مهنيـة في البحـث عـن الحقيقـة والموضـوعية والمـصداقية ليـصبح سـلاحا إرهابيا من الدرجة الأولى؟.

إننا يمكن أن نصف الإعلام الأمريكي بأنه انتحر أمام سرفات الدبابات وازيز الطائرات وقذائف المدفعية وصواريخ الانتقام، وهذا ما جعل يجياوي كشاهد على ذلك يكتب تحت عنوان عندما ترتد الآلة الأمريكية الإعلامية على أصحابها - يقول فيها (لم تعد المؤسسة الإعلامية الغربية الأمريكية أساسا كما البريطانية كما العديد غيرها مطالبة في ظل - حالة الحرب هاته بنقل مجريات الأحداث كما تتراءى لها بأرض المعركة، ولا ونق ما تقدمها الجيوش، بل غدت تحت هذا المسوغ أو ذاك تعمل على تطويعها وعادة إخراجها بما يتساوق والخطة العسكرية أو نزولا عند رغبات الرأي العام أو جبرا لنفسية العائلات المكلومة التي تم الزج بأبنائها في جهة من العالم لربما لن يستطيع المواطن الأمريكي او البريطاني تبين موضعها على الخريطة)

اما كيفية هذا التطويع فكان الكذب المباشر في كثير من لأخبار و لمعلومات،فهذا خبر عن مقتل الرئيس العراقي وأبنائه ومساعديه يروج له في اليوم الأول من الحرب، وإذا به يكذب بالصورة والصوت بنفس اليوم، ثم خبر آخر عن استسلام فيلق اللواء هاشم بأم قصر في اليوم التالي وإذا به يكذبه اللواء ذاته من داخل أم قصر محاطا بجنده وكثيرة مثل هذه الأخبار الكاذبة وغير المعتمدة على أي مصدر مسئول بل ولم تناقش معطياته مع أحد بل احد الترويج

له بمجرد وصوله أو اختراعه،ومثل هذه الأخبار ليست عجيبة في الحرب ،إذا كانت صادرة من ناطق عسكري أو رئيس كتيبة أو قائد مجموعة، إنما الداعي للعجب هو أن تقوم المؤسسة الإعلامية بالتصريح والتداول والترويج بنفس الوقت دونما أي تحقيق أو تحقق، ليغدو بأعين الملايين وآذانها حقيقة واقعة دامغة لا مجال للمزايدة فيها، وهو أمر ليس يدعو للغرابة فحسب بل ويدفع لمساءلة المؤسسة إياها والتساؤل في مصداقية القائمين عليها.

إنها حرب إعلامية وظفت لها القيادة الأمريكية والبريطانية شتى الوسائل التكنولوجية للتعتيم والتمويه،وهي حرب إعلامية فضلا عن كل هذا وذلك، لأن العدوان على العراق إنما يصور للجماهير بالغرب وكأنها حرب نقية، تستهدف أركان النظام وترساناته العسكرية،وكل هذا كذب وبهتان فهي بعد أن تكشفت كانت حرب حقائقها ودوافعها وحتى مواقع قصف أسلحته غير ذلك،والآلة الإعلامية الغربية عموما الأمريكية والبريطانية على وجه التحديد لم تستسلم فقط لما يصدر عن المؤسسة العسكرية من كذب ومغالطات بل تبنت كل ذلك لتجعل منه حقائق قائمة سرعان ما تمنح للمشاهدين تمييز المزور بداخلها.

وهكذا يتحدث الكاتب يحياوي فاضحا هذه الآلة العسكرية بقوله إنها لم تكتف بالتالي بقبول ارتهانها لمؤسسة المؤسسة العسكرية للحرب النقية في خطابها مكانة متميزة، بل قبلت عن طواعية أن تندغم بصلبها وتحمل من الكذب وتحريف الحقائق مكونا من مكونات مصداقيتها ومصداقية مراسليها بأرض المعركة.

إن الولايات المتحدة في حربها الإعلامية على العراق قد عسكرة الإعلام بطريقة لم يشهدها التاريخ من قبل، وعسكرة المؤسسة الإعلامية إنما تتبين كما يقول يحياوي من خلال مؤشرات لم تكن معهودة من ذي قبل لا في زمن الحرب ولا في وقت السلم. فعدد الصحفيين المعتمدين من المؤسسة العسكرية لتغطية العدوان ثلاثة آلاف صحفي مصاحب للتحالف الانجلوامريكي بأرض العرق وخمسمائة متواجدون في الكويت بهذه القاعدة او تلك ن بهذه نقطة أو تلك، هذا الحجم من الصحفيين هو جيش في حد ذاته لا بالقياس إلى العدد بل وأيضا اعتبارا إلى ما يتوفر لديه من سبل وامكانات تضليل الرأي العام وفي الكذب عليه تسجيلا للأحداث أو بالمباشر الحي، وعلى هذا فالصحفي المصاحب لهذه الدبابة أو تلك،هذه الطائرة أو تلك،لا يصور الأحداث كما قد تحدث أمم عينيه أو على مقربة منه، بل يقرأها بعين قائد الدبابة أو عين الربان،الذي هو رئيسه

المباشر وإلى حد ما المسئول عنه،ولا يقتصر العدد على التعداد بقدر ما هي بالأداء ويتعداه حتما إلى مجال مصدر المعلومات وبنية ترويجها وإشاعتها .

وليس مثار استغراب إذن إذا أقام الصحفيون بثكنات محاذية للقوات العسكرية أو قبلوا بهم زملاء لهم في السكن كما بأرض المعركة...هي إذن وبكل المقاييس تنقية للمعلومات لدرجة تصفية مضمونها وتطويعها بما يتلاءم وخطط المؤسسة العسكرية بأرض المعركة.

هكذا ينتحر الإعلام حيث أن(تمترس المؤسسة الإعلامية وراء المؤسسة العسكرية لدرجة عسكرتها لن تقع الإشارة بالضرورة بموجبه على الثانية بقدر ما سيثار في شأنها بإصبع الاتهام إلى الأولى، فهي التي تحت مسوغات واهية انصاعت لقرارات الثانية وجعلت من عناصرها مكونا منها لا مكونا قائما بذاته دونه ودون الاستقلالية الاحتجاج والتشهير وهو ما لم نشهد له أثر منذ انطلاق العدوان على العراق)

هنا يرى يحياوي (أن اللافت للانتباه حقا سيما منذ شن العدوان الأنجلوأمريكي على العراق أن الإعلام بكل مكوناته- غدا بكل المقاييس أبرز الضحايا وبالتأكيد أكبرها -، إنها حرب إعلامية حورت بمقتضاها الوقائع وحرفت المعلومات وزورت المحاضر الإعلامية مضللة بذلك وعن قصد مبيت

معارض العدوان، كما متبنية سواء بسواء، إنها حرب إعلامية دونما توهم كبير وهي أيضا حرب على الإعلام انبنت منذ البدء في تصور التحالف الانجلوامريكي على مرتكزات منها أنها:

- حرب على الإعلام بامتياز ليس فقط كون العدوان على العراق استهدف منذ اليوم الأول تدمير وزارة الإعلام بغرض تدمير مقر الناطق الرسمي باسم النظام العراقي بل وأيضا كونه استهدف محطات البث التلفزي والقناة الفضائية العراقية تحديدا . وبالتالي فنجاح التحالف في إسكات البث الإذاعي والتلفزيوني العراقي عبر تدمير بنيته التحتية غنما يؤرخ لانتصار لآلة الحربية في حربها المفروض على الإعلام.

-وهي حرب على الإعلام أيضا بعدما تزكى الاعتقاد بأنه حرب إعلامية كونها لم تتوقف عند مستوى تضليله وتمويهه وإجباره على بث ما ترضاه المؤسسة العسكرية / السياسية وترتضيه، أو انحصر مداها في درجة تطويع ذات الإعلام وضمان خطاب القائمين عليه، بل تعدى الأمر ذلك إلى حالات من العنف المادي لا يعتبر التحذير أو الطرد أو المنع من التغطية والبث إلا إحدى المتمظهرات العادية من ذات العنف... فلو استساغ المرء جدلا محاصرة قوات التحالف الانجلوامريكي لمحطة أبو ظبي الفضائية بغرض الحيلولة دون

انتقال صحفييها لتغطية ما جرى من مجازر بضواحي بغداد كما ببعض أحيائها، فإنه لن يستطيع تحت أي مبرر من المبررات استساغة القصف الذي تعرض له مركز الصحفيين بفندق فلسطين بقلب بغداد وذهب ضحيته صحفيون من الجزيرة ومن التلفزيون الأسباني كما من وكالة رويتر.

- وهي حرب على الإعلام بكل المقاييس كونها لا تتخذ من الإعلامي شاهدا حيا على وقائع العدوان بقدر ما تتخذه رهينة بيث ما سلمته الآلة العسكرية / السياسية تحت تهديد فوهة المدفع أو تحت ضغط قائده بعين المكان.

وبناء على كل ما ورد كما يقول يحياوي-فإننا نعتقد انه لا يمكن للمرء بالعين المجردة أساسا غلا أن يلاحظ العدوان على العراق فنما هو عدو ن إعلامي بامتياز وعدوان على الإعلام في الآن ذاته.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه بتحصيل حاصل عنوان كبير بوجود جرائم حرب إعلامية وبالتالي فإذا تم التسليم بالوجود إياه فمن الواجب إقامة محاكم للذلك بغرض مقاضاة الجناة، وإذا تم التسليم والاعتراف بكل هذا أو ذاك فمن المفروض أن يقدم لذات المحكمة بغرض المساءلة والمقاضاة سياسيو التحالف ضد لعراق كما عسكريوه.

بل إن الحرب الإعلامية على العراق لم تكن لتقف عند حدود الممارسات المذكورة في الحرب، بل إن هذه الحرب تماشت وتساوقت مع مصطلح الحرب الوقائية ذاتها، وليس من المبالغة في شيء القول بأن ما دفعت به الشبكات التلفازية قبيل العدوان على العراق كما خلاله إنما هو حرب وقائية إعلامية تكفلت ذات الشبكات بتنفيذها مذ اصطفت بها وراء خطاب المؤسسة العسكرية لتتبنيا معا نفس المسلك ويدفع بنفس المنظومة السيميائية، واصطفاف ذات المؤسسة وراء المستوى السياسي / العسكري حول شعار الحرب الوقائية إنما هو محصلة اصطفاف حول الهدف وحول التصور وحول الأداة، وهو ما تراءى جليا طيلة أيام العدوان على العراق حيث لم تنقل لنا وسائل الإعلام الانجلوامريكية إلا الضربات الوقائية الموجهة بدقة متناهية ودونما مس بالمدنيين في حين تغافلت عن ذات الضربات والضربات الأخرى وكذا الكوارث التي خلفتها في البشر والعمران والآثار.

وهكذا فلم تعد المؤسسة الإعلامية مصدر سلطة من شأنها العمل على لجم سلطة السلاح والحرب أيا ما تكون المسوغات تلك، بل أصبحت مكونا من مكوناتها وعنصرا من عناصرها وأداة القرار التي على خلفيتها يتم كل هذا وذاك

وهكذا دفعت المؤسسة الإعلامية بمبدأ السلطة الرابعة حيث بقيت مرتهنة للذي يرفض لها ذات التطلع بل وناطقة باسمه دونما تحفظ كبير

ألا يحق لنا القول أن الإعلام الأمريكي أصبح إعلاما إرهابيا تقوده الدولة ذاتها؟

الإعلام الأمريكي

إرهاب الداخل والخارج

الإعلام الأمريكي إرهاب الداخل والخارج

في كتابه ما بعد الإمبراطورية الكاتب الفرنسي امانويل طود يقول في افتتاحية الكتاب (إن الولايات المتحدة في طريقها لأن تصبح مشكلة بالنسبة للعالم، فبينما اعتدنا أن نرى فيها حلا وضامنة للحرية السياسية والنظام الاقتصادي خلال نصف قرن، فهي تظهر اليوم أكثر فأكثر عامل فوضى دولية)[1].

وينهي كتابه بقوله (لنترك أمريكا تنهك ما تبقى من طاقتها في مكافحة الإرهاب كبديل للكفاح من اجل الحفاظ على هيمنة لم تعد موجودة، إن استمرت أمريكا في تعنتها لإظهار قوتها الخارقة للعالم، فإنها تظهر في نهاية الأمر عجزها للعالم)[2].

وبين هذين النصين تظهر أمريكا والسلوك الأمريكي (إنها لا تعاني فرط القوة وإنما انخفاضا في قوتها وإن القوة الأمريكية في تراجع وإن مراكز القوة في

() ما بعد الإمبراطورية ص25.

(2) ن م ص223

العالم تتعدد، وأن التكتلات الإقليمية الكبرى ستفقد جدوى وجود مركز أمريكي عالمي،

وفي التفاصيل يؤكد المؤلف على انه (يجب القبول بان الهيمنة الأمريكية بين 1950-1990 كانت مفيدة، إلا أن القوة الاقتصادية الأمريكية بدأت تتقهقر في لسبعينات مع ظهور عجز بنيوي في الاقتصاد الأمريكي، وهكذا تحولت أمريك من الجدوى إلى عدم الجدوى بالنسبة للعالم) وبعد أن يشير إلى تضخم العجز التجاري الأمريكي بمئات الملايين وهذا قبل حرب احتلال العراق وأفغانستان- يؤكد على انه (في بداية الألفية الثالثة لم تعد أمريكا قادرة على العيش من إنتاجها لوحده) وبعد إيراده الكثير من الأرقام التي تعكس هذه الحقيقة يستنتج (أن امريكا هي قيد التحول إلى فضاء متخصص في الاستهلاك وتابع للعالم الخارجي فهي ليست مهمة للعالم من حيث إنتاجها وربما من حيث استهلاكها).

أما عسكريا فيرى ان أفول القوة الأمريكية لا رجعة فيه، وأن إشكالية أمريكا العسكرية هي أنها لم تواجه أبدا خصما في مستواها العسكري كما أنها لم تربح حربا بمعنى الكلمة وأنه من خلال نشاطها العسكري الموجه ضد الدول الضعيفة تسعى أمريكا لحجب انحسار قوتها فهي تستخدم مكافحة الإرهاب

ومحور الشر كمبررات..فهي بعد تضخيم الإمكانيات العراقية وبعد تحرير الكويت تعمل على الانخراط في اكبر عدد من الصراعات مع قوى عسكرية مثيرة للسخرية الدول المارقة ، أما الميكرو-عسكرتاريا المسرحية لأمريكية تهدف لإظهار ضرورة أمريكا للعالم بسحق خصوم لا شأن لهم) . وهكذا يستنتج أن (عدم جدوى أمريكا للعالم يعتبر أحد الهاجسين لأمريك وأحد المفاتيح لفهم السياسات الخارجية الأمريكية).

هذه صورة لأمريكا قبل التدخل في أفغانستان والعراق فكيف صورتها اليوم بعد انهيار الدولار وزيادة العجز التجاري إلى رقم لم يبلغه في تاريخها، كذلك خسائرها البشرية وانهيار قيمها الأخلاقية وتأزمات دهقر طيتها ثم دور الإعلام التضليلي في كل ممارساتها؟ كيف هي صورة أمريكا اليوم؟

في كتاب آخر للمؤرخ البريطاني وأستاذ التاريخ العالمي في كلية ستيرن بجامعة نيويورك بعنوان ارتقاء وسقوط الإمبراطورية الأمريكية-والذي صدر عام 2004 يفضح المؤلف الدعوات المزيفة لقادة أمريكا اليوم من أنها ليست إمبراطورية وإنما ديمقراطية، وكيف صنعت الذهنية الأمريكية الجماعية على ذلك،وكيف زيفت اليوم من خلال الممارسات الواقعية على الأرض يقول المؤلف (الولايات المتحدة ليست قوة إمبريالية ولا هي قوة استعمارية رغم

امتلاكها قدرات هائلة تمكنها من أن تكون كذلك، وهي لم تمارس الاحتلال والاستعمار كما مارسته القوى الإمبراطورية المشابهة السابقة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا والبرتغال وأسبانيا...هذا الاعتقاد هو ما ترسخ في الذهنية الأمريكية الجماعية عبر عقود طويلة من السنين، وبناء عليه فإن كل التدخلات الأمريكية العسكرية الخارجية والاعتداءات والاحتلال سواء في أمريكا اللاتينية أم الهند الصينية أو في فضاء المحيط الباسفيكي لم يكن هدفها سوى نشر الحرية أو وقف تقدم الشيوعية أو دعم الديمقراطية)[1].

هذه الادعاءات يكشفها فيرغسون ليصل إلى نتيجة مفادها أن الولايات المتحدة لم تكن ومنذ نشأتها سوى إمبراطورية إمبريالية بالمعنى الحرفي للكلمة.

لقد كان بوش الابن يزعم أن أمريكا لم تكن مطلقا إمبراطورية، ويقول وزير دفاعه دونالد رامسفيلد (إننا لم نكن أبدا دولة استعمارية إننا لا نخرج بجنودنا إلى أنحاء العالم في محاولة للاستحواذ على ما لشعوب أخرى من موارد وأراضي ونفط، إن هذا بالضبط هو ما تحجم الولايات المتحدة عن فعله، وهو ما لم تفعله ولن تفعله، فهذه ليست الطريقة التي تتصرف بها الديمقراطيات، إنها

---

(1) ارتفاع وسقوط الإمبراطورية الأمريكية –الانترنت –موقع الجزيرة.

الطريقة التي تصرفت بها دول تسعى لبناء الإمبراطورية كالاتحاد لسوفيتي، لكنها ليست الطريقة التي تتصرف بها الولايات المتحدة.

أما وزير الخارجية كولن باول فيؤكد قائلا (إن الولايات المتحدة لا تسعى إلى إقامة إمبراطورية على الأرض فنحن لم نكن أبدا إمبرياليين لكننا نسعى إلى إقامة عالم تصبح فيه الحرية والرخاء والسلام ملكا لكل الشعوب وليس مجرد امتياز خاص للأقلية)(1).

على أن هذه الصورة الجميلة الجذابة لم تكن لتستمر طويلا حتى كشفت أمريكا بنفس قادتها هؤلاء عن حب الحرب والغزو والاحتلال والنفط و لإمبراطورية، وحدث عكس جميع هذه الأقوال والادعاء كما يقول الكاتب الذي يصف العراق بانه كان صندوق باندورا العجيب- بعد أن غزاه المحافظون الجدد بمسوغات عدة ثبت أنها كانت فارغة ولا أساس لها وبداية رسم الصورة الجديدة المناقضة لأمريكا كانت بعد أحداث 11 سبتمبر.

ففي المقام الأول كانت نظرية تغيير النظام بدعوى انه دكتاتوري ومستبد ثم تم ستبعاد هذه النظرية لأنها ستجلب على واشنطن أسئلة كثيرة بشأن أنظمة

(1) ن م.

ديكتاتورية ومستبدة عديدة تحظى بدعم الولايات المتحدة، ناهيك عن أن تشن ضدها الحروب، ثم جاءت فكرة امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وتهديده باستعمالها ورافقتها فكرة علاقة العراق بالقاعدة وإرهابها وتفجيرات 11 سبتمبر، لكن كل هذه المسوغات لم تصمد، ومع ذلك تم احتلال العراق وأعلن جورج بوش أن الأمن والأمان والديمقراطية سوف تحل في العرق بعد التخلص من صدام حسين،

غير أن الخلاصة الحالية التي وصلت إليها واشنطن هي بالتأكيد خلاف ما هدفت إليه، فالقاعدة وجدت لها الآن أرضا خصبة تتحرك فيها وتقاتل الولايات المتحدة مباشرة،والحل الديمقراطي الموعود في العراق لا يبدو انه سينجح و للدول الشريكة في الحرب تنسحب الواحدة تلو الأخرى).

ويبدو أن صورة أمريكا قد تغيرت عما كانت عليه وعما ادعى قادتها الجدد من أنها ليست إمبراطورية،حيث تكاثرت الكتب التي ترفع عنوان الإمبراطورية على واجهاتها لأمريكا وهكذا وجدنا محمد حسنين هيكل يصدر كتابا باسم الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق حيث يضع قانون الإمبراطوريات عبر التاريخ ليقيس عليه الإمبراطورية الأمريكية فيقول بأن (واحدا من أهم دروس التاريخ أن الإمبراطوريات العاتية تكابر حتى تصل إلى

الذرى العالية ثم تكتشف عند الوصول هناك أن البقاء فادح التكليف، وعندها تظهر حتمية النزول، لكن الإمبراطوريات تعاند وساعتها يبلغ العنف مداه، وذلك ما حدث لكل الإمبراطوريات سابقا من الإمبراطورية الرومانية في العالم القديم إلى الإمبراطوريتين الكبيرتين في التاريخ الإسلامي الأموية والعباسية- في العصر الوسيط إلى الإمبراطوريات الأوربية في العصرين القريب و الحديث، فتلك الإمبراطوريات جميعا بلغت الذرى زمن الصعود وكلها بعد ذلك وبسبب أعباء وتكاليف الإمبراطوريات اضطرت إلى النزول على السفوح وكلها في حالة الصعود استعانت بالقوة وكلها في اتقاء النزول قاومت بعنف وذلك ما يحدث للإمبراطورية الأمريكية)[1].

ويعد أن يذكر هيكل تميز وخصائص الإمبراطورية الأمريكية من استخدامها أسلوب جديد في السيطرة يقوم على نظام شديد الجرأة والجسارة إلى درجة الاقتحام والاختراق لخصوصيات الدول والشعوب والقدرة على خطف وعي الآخرين وارتهانه أسير إعلام مصور وملون مكتوب وناطق يعطي لنفسه احتكار وضع جدول اهتمامات الرأي العام العالمي وسحب الآخرين وراءه وجرهم مهرولين، ولكنه يتحدث عن المشروع الإمبراطوري الأمريكي من

(1) الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق -انترنت -موقع الجزيرة

الحرب على الإرهاب إلى الحرب على العراق وكيف انتقلت ثورة الحوادث في ما جرى في 11 سبتمبر من نيويورك إلى كابل ثم من كابل إلى بغداد .. فيقول بأن الإدارة الأمريكية وجدت بعد تدمير برجي مركز التجارة مباشرة أنها بحاجة إلى ضرب العراق لأن الشعب الأمريكي برأي الرئيس بوش كان بحاجة إلى عمل كبير وليس معركة واحدة ولكن حرب ممتدة يشعر بها الشعب الأمريكي أن الإدارة الأمريكية تدافع عنه حتى أقاصي الأرض واتخذ قرار الحرب على العراق وبعد الأحداث بأيام قليلة.

إذن فقرار الحرب على العراق كان ضرورة أمريكية شعبية برأي بوش، وليس للعراق أي ذنب فيها بل مجموعة (أحوال إنسانية وصراعات سياسية ومطالب إمبراطورية وضرورات بترولية ولوازم انتخابية، وكله يتداخل ويختلط في وعاء طبخ القرار الأمريكي وذلك طبق يحتاج إلى محسنات للطعم وللمسة جمال على الشكل ترضي الذوق وتفتح الشهية وعندها تجيء لحظة إضافة المغريات من نوع أسلحة الدمار وإبعاد الدكتاتور وضمان حقوق الإنسان ومستقبل الديمقراطية).

على أن الإعلام الأمريكي والتلفزيون والأقمار الصناعية بشكل خاص لعب دور كبيرا في التحضير والإعداد والتغطية مما أضعف العمل السياسي من

جهة وفقد الإعلام مصداقيته في البحث عن الحقيقة من جهة أخرى، حيث يرى هيكل أن الوسيلة الأساسية في العمل والتطويع والمواجهة صارت هي الأقمار الصناعية ومحطات التلفزة وشبكة الانترنت والتلفونات المحمولة وأجهزة الكمبيوتر، وحدث أن التلفزيون كما يقول هيكل في هذه الأزمنة صنع لنفسه عصرا بأكمله، وكان هذا العصر التلفزيوني الحاضر في كل بيت وكل ملتقى هو الأداة التي اغتالت العمل السياسي بأساليبه المعروفة منذ بدأت العهود الديمقراطية بعد الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية أوائل القرن التاسع عشر.

ويؤكد هيكل على أن الكثيرين راحوا يدرسون بجد هل أصبح التلفزيون صانع السياسة، وبأي تكاليف على الوعي وعلى فرصة الاختيار وعلى الحقيقة، وسقطت السياسة ضحية التلفزيون لغلبة الصورة على الفكرة وأسبقية الانطباع على الحقيقة والإقناع نقل التلفزيون السياسة إلى عالم المسرح وفيه الموقع والمنظر والضوء والحوار المرسوم والمخرج الموجه وكذلك يتحول السياسي إلى ممثل مشغول بالأداء في حد ذاته أولا وأخيرا

وهذا يعني في نظر هيكل أن الرسالة السياسية مصنوعة على مواصفات يهمها أكبر قدر من التأثير وليس أكبر قدر من الحقيقة، ومع تواصل الأيام حدثت عملية تضخم سياسي يشابه التضخم النقدي، إذ أن تواضع التأثير

بحكم التعود يوما بعد يوم جرى إلى تعويض نفسه بالزيادة في العرض ونتيجة لذلك فإن السياسة ومعها العملية الانتخابية على جميع المستويات الرئاسية أو السياسية أو التنفيذية حتى انتخابات الكونغرس والمجتمع المدني والنقابات المهنية و لعمالية والأندية الرياضية تحولت إلى عمليات مكلفة تحتاج إلى تمويل كثيف يكفي لشراء وقت كاف لوضع الرسالة السياسية على الشاشة الأوسع انتشار وبالتالي الأغلى، ويقدر على توفير الخبراء الأقدر بين المنتجين والمخرجين وخبراء الضوء والصوت إلى جانب الإنفاق على جيش من مؤلفي القصص إلى كتاب السيناريوهات إلى المديرين إلى المخرجين إلى مهندسي المناظر وخبراء التجميل..وهذه الأحوال جعلت العملية السياسية ملهوفة باستمرار على المزيد من المال، وذلك يدفعها برضاها أو مكرهة إلى حيث توجد مصادره، وهناك يكون عليها أن تبيع أو ترهن قرارها للبيع

هكذا تحولت أمريكا إلى معرض للبيع بدلا من أن تكون أرضا لممارسة الحرية والديمقراطية، هكذا تغيرت أساليب الحزبين الجمهوري والديمقراطي على السواء، فبدلا من أن يقودا حملة الأفكار والبدائل ومناقشاتها وتكامل برامجها لتعرض على الناخبين، أصبح مرشحي الأحزاب هم الذين يعرضون أنفسهم على أحزابهم وهم الذين يتولون تدبير التمويل لحملاتهم وهم الذين يتقدمون

الصفوف إلى عوالم الصور، وعليهم هم وليس على الحزب خلق الانطباعات الكفيلة بفتح الطريق إلى البيت الأبيض وكذلك حمل الذين يتمون إلى المقاعد النيابية.

هذا هو واقع الديمقراطية والانتخابات في أمريكا بعد سيطرة الإعلام على السياسة،ولعل خير تطبيق وجدناه لذلك هو الحرب على العراق التي ستغفل فيها الشعب الأمريكي كله من خلال الإعلام التضليلي الذي قاد الحملة مع قرارات العسكريين والسياسيين بإعطائهم المبررات عبر أكاذيب انكشفت أمام الرأي العام الأمريكي قبل غيره،ومع هذا بقيت آلية هذه السياسة مستمرة، وهذا ما يؤكده قرار الحرب واحتلال العراق حيث لم يكن مبنيا على أي شرعية قانونية أو أخلاقية أو إجماع دولي بل إنه (ظهر بعد أيام من الاحتلال الأمريكي للعراق أن جميع الذرائع القانونية والأخلاقية التي دفعت القوات الأمريكية إلى العراق غير صحيحة، بل إن القائلين به كانوا أول من يعرف أنها غير صحيحة فليست هناك أسلحة دمار شامل، وليست للنظام العراقي إمكانية لتهديد الولايات المتحدة أو أوربا، وليست له صلة بتنظيم القاعدة،وبدت القوات المسلحة ضيقة الصدر مع كل الأطراف ولم توفر لها القيادة السياسية الغطاء الأخلاقي والقانوني الذي يحفظ لها قيمة وكرامة العلم الوطني .وبهذا حرص

شديد من واشنطن على احتواء وكتمان توترات وتقلصات عاشتها العاصمة الأمريكية بين السياسيين والعسكريين.

وهكذا يستنتج هيكل أن الإمبراطورية الأمريكية ستواجه لحظة شديدة الحساسية والأهمية وذلك منطق الأشياء طالما أن القوات المسلحة أصبحت وسيلة المشروع الإمبراطوري وعليها مسؤوليته.

إن الإعلام الأمريكي وهو يساهم في توظيف معطيات الإرهاب بحجة الدفاع عن الأمريكي إنما يساهم في ترويع وإرهاب الشعب الأمريكي ذاته،وإذا كان الهاجس الأكبر في السياسة الأمريكية إنما يكمن في البحث عن أمنها الذاتي خارج العلاقات الدولية المتوازنة فإن هذا لن يتحقق لها أبدا.

لقد طرح بريجنسكي في كتابه الاختيار هذه المسألة بشكل دقيق، وبحث مسألة الهيمنة الإمبراطورية والانشغال الناجم عن الخوف بالأمن الأمريكي المنعزل،حيث يقول بأن الانشغال الناجم عن الخوف بالأمن الأمريكي المنعزل والتركيز الضيق على الإرهاب وعدم المبالاة بشواغل الإنسانية القلقة سياسيا لا يعزز الأمن الأمريكي ولا يتوافق مع حاجة العالم الحقيقية للقيادة الأمريكية، وما لم توفق الولايات المتحدة الأمريكية بين قوتها الطاغية وجاذبيتها الاجتماعية

المغوية و مضطربة في آن معا فقد تجد نفسها وحيدة وعرضة للهجوم فيما تشتد الفوضى العالمية)[1].

ويحذر بريجنسكي من أن الولايات المتحدة القلقة المهووسة بأمنها الخاص يمكن أن تجد نفسها متعزلة في عالم عدائي، وإذا ما أفلت سعيها وراء الأمن الأحادي من عقاله فقد يحولها إلى حصن عسكري متشرب لذهنية الحصار.

إن الحالة السيكولوجية للشعب الأمريكي تؤكد هذه المعطيات فقد عاش هذا الشعب وقيادته تخيفه من الأطباق الطائرة تارة ومن الشيوعية تارة أخرى، ومن ثم خلقت له هذه القيادة أعداء بعد سقوط الاتحاد السوفيتي منها الصين ثم الإسلام كحضارة، وهكذا نجد أن الخوف والترويع هو أساس تهديد أمريكا لنفسها وللعالم لكيف وقد أصبحت القوة العظمى الأولى في العالم اليوم؟.

يقول بريجنسكي بأنه (ربما تكون الولايات المتحدة الأمريكية فريدة في قوتها في المنظور العالمي، ولكن أمنها الداخلي مهدد على نحو فريد أيضا، وقد يكون اضطرارها إلى العيش في مثل هذا الجو من انعدام الأمن حالة مزمنة على الأرجح) وهكذا يطرح بريجنسكي السؤال الكبير وهكذا نجد أن السؤال

---

(1) الاختيار كالسيطرة على العالم أم قيادة العالم -الانترنت

الأساسي يدور حول ما إذا كان بوسع الولايات المتحدة الأمريكية أن تتبع سياسة خارجية حكيمة ومسئولة وفعالة وتتجنب مخاطر ذهنية الحصار وتتحاشى في الوقت نفسه مع المكانة التاريخية الفريدة لها بوصفها القوة العظمى في العالم؟).

وحينما يتساءل عن غرض الهيمنة في سياسة الولايات المتحدة يجيب هل يمكن الرهان على ما إذا كانت الأمة ستسعى لصياغة نظام عالم جديد يقوم على مصالح مشتركة أم ستستخدم قوتها المطلقة في الدرجة الأولى لتحصين أمنها الخاص في الدرجة الأولى؟

ثم يستطرد متسائلا: هل تتوافق الديمقراطية الأمريكية مع دور الهيمنة السياسية مهما كان الحرص على تمويه تلك الهيمنة؟ وكيف ستؤثر الضرورات الأمنية لذلك الدور الخاص على الحقوق المدنية؟

هنا يطرح مفهوم قيادة العالم بدلا من السيطرة عليه،ويؤكد أن أمن الشعب الأمريكي هو الهدف الأول للسياسة الأمريكية العالمية لكن الأمن القومي المنفرد وهم خرافي، فيتعين أن يتضمن السعي وراء الأمن جهودا تبذل من اجل دعم عالمي واسع وبخلاف ذلك يمكن أن يتحول الاستياء إلى تهديد متعاظم لأمن الولايات المتحدة..أما الهيمنة فليست إلا مرحلة تاريخية عابرة

ولاحقا إن لم يكن قريبا جدا سوف تتلاشى السيطرة العالمية للولايات المتحدة الأمريكية، ولذلك فليس مبكرا على الأمريكيين السعي إلى تحديد شكل الميراث لنهائي لهيمنتهم، انه يؤكد أنه سيؤول كل شيء إلى الزوال، والهيمنة لابد أن تستنفذ تاريخها ثم تذهب، لذا فليس المطلوب السيطرة على العالم بل قيادة العالم وفق مصالح مشتركة للجميع والأمن للجميع، فأمريكا بلد يعيش على الكرة الأرضية وبالتالي يتشارك مع دولها وشعوبها كل شيء وبالتالي فالأمن الجمعي هو المطلوب أولا.

ويصف بريجنسكي احتلال العراق بأنه تناقض مربك فلم يسبق ان كانت القدرات لعسكرية الأمريكية العالمية بهذا القدر من المصداقية لكن لمصداقية لسياسية لعالمية لم تكن بهذا القدر من التدني -.

إن خلفيت هذه الحرب والتحايل الإعلامي والتضليل السياسي على الدخل و لخارج يظهر بوضوح من خلال كتاب غزو العراق للمؤلف ميلان راي الذي يناقش قبل غزو العراق- الدعاوى الأمريكية والبريطانية في الحرب ويقدم حقائق تواجه برأيه التشويه والكذب الرسمي الذي يتعرض له شعب الولايات المتحدة وبريطانيا في سياق حملة علاقات عامة مذهلة لتسعير حمى الحرب على العراق، ويظهر المؤلف أن استطلاعا للرأي العام أجراه مجلس

شيكاغو للعلاقات الخارجية في آب 2002 اظهر أن 20٪ فقط من الأمريكيين يؤيدون حرب أمريكية منفردة على العراق كما اظهر الاستطلاع أن 3٪ فقط من الأمريكيين يجيبون بعفوية إن سئلوا عن الأخطار التي تهدد الولايات المتحدة العراق أو صدام حسين حين طلب منهم أن يحددوا أكبر مشكلتين أو ثلاث توجهها البلاد.

وكشف المؤلف أن هذه الحرب كانت مطلبا ملحا للإدارة الأمريكية وخططت له قبل أحداث 11 سبتمبر، حيث يذكر على سبيل المثال أنه كان من الممكن أن يسلم ابن لادن قبل عام 1998 كما كان هناك مفاوضات قطعت شوطا مهما مع تركي الفيصل المدير السابق للمخابرات السعودية ولكن قصف أفغانستان والسودان قوض المشروع، بل إنه حتى بعد أحداث 11 سبتمبر كان ثمة فرصة لتسليم أسامة بن لادن في باكستان ومحاكمته هناك وكان من المحتمل أن تقضي هذه المحاكمة إلى تسليمه للولايات المتحدة أو يطبق عليه حكم لن يقل عما يفترض أن تسعى إليه الولايات المتحدة في باكستان خاصة وإن باكستان دولة حليفة لأمريكا، ولكن بريطانيا والولايات المتحدة تجاهلتا الاتفاق وعملت على هدمه

لقد كان الهجوم على العراق كما يقول مصطفى بكري مؤلف كتاب العراق المؤامرة والخيانة والاحتلال هو تعبير عن عداء شخصي يقول (كانت عملية لإطاحة بصدام وغزو العراق هدفا أساسيا حمله بوش الابن معه كموروث عائلي، فقد بكى بل انهار عندما علم بتفاصيل المؤامرة التي أعدها صدام لاغتيال أبيه،ما دفعه في اليوم الثاني لوصوله للسلطة لإبداء رغبته في الثأر من صدام وقال للمقربين منه أنه تتملكه رغبة عارمة في الهجوم على العراق حتى لو لم يجد المبررات اللازمة لذلك،فإنه سيطالب بالبحث عن جميع المبررات الدبلوماسية والعسكرية حتى يقنع الجميع داخل أمريكا وخارجها بأن الحرب التي سيخوضها ضد صدام هي حرب عادلة ومشروعة بكل المقاييس..وخلال الفترة السابقة على أحداث 11سبتمبر عرضت على بوش عدة تقارير تتهم صدام بأنه المنبع المالي الأول ومصدر التسليح الرئيسي لكل الجماعات الإرهابية وعلى رأسها تنظيم القاعدة، كما طلب بوش من جورج تينيت استطلاع رأي أعضاء الكونغرس والرأي العام الأمريكي حول فكرة قيام أمريكا بعمل عسكري ضد العراق، وجاء فيه أن 83٪ من أعضاء الكونغرس يرفضون، و86٪ من الرأي العام يرفضون أيضا لأنهم يعتبرون أن صدام لم يعد يشكل خطر على المصالح الأمريكية في الخليج، ومع أحداث 11سبتمبر طلب بوش

من رايس وتشيني ورامسفيلد تحديد الأهداف المقررة للعمليات العسكرية الأمريكية واتفقوا جميعا على الحرب ضد أفغانستان والعراق)[1].

على أن دور الإعلام الأمريكي وتشويهه وتضليله الرأي العام الأمريكي والعالمي لم يبدأ بالحرب،بل بدأ منذ فترة الحصار والقصف الجوي على العراق لفترة، حيث ظهر التحكم بوسائل الإعلام بغير ما وضعت له، حيث يذكر الباحثان رانيا المصري وعلي أبو نعمة في كتاب العراق تحت الحصار (أن الإعلام الغربي يقوم بسبع خطايا في حق الشعب العراقي يوميا فهناك إهمال أو تخفيف لأثر العقوبات على الشعب العراقي وهناك إهمال للتقارير التي تنقض وجهة النظر الغربية وترى معدلات الوفاة وغيرها على حقيقتها وهناك أيضا الإصرار على شخصنة الحرب وكأنها موجهة ضد صدام حسين فقط و لتغافل المقصود عن الشعب العراقي أو العراق كبلد يضاف إلى هذه التكتيكات والخطايا أساليب التغطية نفسها حيث يتم عادة خلق توازن وهمي لتبرير الضربات القوية وبلا رحمة إضافة إلى المبالغة في تصوير قوة الجيش العراقي

(1) خطر غزو العراق -الانترنت.

والتهديد الذي تمثله لدول الجوار وكذا الانتقائية في اختيار الخبراء الذين يدلون بتعليقات حول الشعب العراقي والعقوبات)[1].

لقد مارس الإعلام الأمريكي الكذب والتماهي مع القرارات العسكرية والسياسية بل لم يحاول حتى مناقشتها بل انجر انجرارا أعمى بادعاء الانتماء للوطنية الأمريكية وكان العراق سيغزو أمريكا لا العكس،لقد صادق بوش حتى على استخدام أسلحة الدمار الشامل النووية ضد العراق تلك التي أطلق عليها اسم قرار الطوارئ العسكري- وهو منفصل عن قرار استخدام القوة العسكرية ضد العراق،وهذا ما أكده انتوني ارنوف محرر هذا الكتاب وما يزيد هذه السياسة عموما جواب أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة حينما سئلت عن تسبب الحصار في موت أكثر من نصف مليون طفل عراقي أجابت إنها تعتقد أن ثمرة الحصار تستحق ذلك هذا التصريح الخالي من أي بعد إنساني هو البوصلة الأمريكية الحقيقية بالنظر إلى عالم العرب والمسلمين على أنهم فقط مصدر الإرهاب والنفط لذا يجب نهب النفط ومحاربة الإرهاب.

ويظهر هذا أوضح في إحصائية القتلى العراقيين بعد خمس سنوات من الحرب على شعبه حيث زاد عدد القتلى على المليون شخص معظمهم من

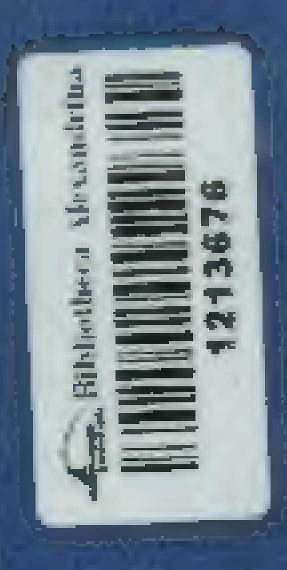
(1) العراق تحت الحصار الاثر المميت للعقوبات والحرب انترنت.

المدنيين ومع هذا الرقم شبه الرسمي لم يتحرك الإعلام الأمريكي ليقول كفى لقادة أمريكا وسياسييها وعسكرييها.

لقد صرح بوش قبيل الحرب بأيام بأنه سيخوض حربا من أجل حماية الشعب الأمريكي فصدام يشكل تهديدا لأمن الولايات المتحدة بل ولأمن العالم وهكذا احتل العراق ففقد الأمن الأمريكي مصداقيته حيث آلاف العسكريين الأمريكان قتلوا ويقتلون في العراق وحيث الاقتصاد الأمريكي بدا يغوص في الديون وينهار الدولار أمام عملات العالم من يورو ومن وجنيه إسترليني.

انه خيانة الإعلام الأمريكي للشعب الأمريكي ولقيم الحرية والمسؤولية والديمقراطية على السواء وبهذا أصبح إعلاما إرهابيا يزيف المعلومات على الشعب الأمريكي أولا وعلى الرأي العالمي ثانيا بعد أن كان نموذجا صارخا لل [illegible] الحقة في حرب فيتنام.







دار المعتز للنشر والتوزيع
الأردن- عمان- شارع الملكة رانيا العبدالله- الجامعة الأردنية
مقابل كلية الزراعة عمارة رقم ٢٣٣ الطابق الأرضي
تلفاكس: ٠٠٩٦٢٦٥٣٤٣٠٢٥
email: daralmoataz.pub@gmail.com